٥٧. ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ الخشية من الله خشيته[١] من عذابه[٢] وسخطه. والإشفاق: الخوف، يقول: أنا مشفق[٣] من هذا الأمر؛ أي خائف[٤][٥].

قال ابن عباس: «يريد أشفقوا[٦] من[٧] عذابي، ولم يأمنوا مكري».

وقال الكلبي: «خائفون من عذابنا»[٨]. وهذه صفة أهل طاعته في الدنيا.

وقال مقاتل: «مشفقون من عذابه»[٩].

هذا قول المفسرين، وقد ذكروا ما يشفقون منه وهو العذاب، وحذف ذكره للإحاطة به. والمعنى: والذين هم لما هم عليه من خشية الله مشفقون من عذابه[١٠]. ولا يصح نظم الآية إلا بإضمار ما أشفقوا منه؛ لأنَّه لا يقال: خشي من خشية الله إلا بإضمار مفعول لخشي. فإن جعلت من خشية الله مفعول خشي لم يحسن، لأنَّه لا يُخشى من الخشية، كذلك هؤلاء لم يشفقوا من الخشية إنما أشفقوا من العذاب لما انطووا عليه من خشية الله وحذر عذابه.

---

(١) في (أ): (خشية).
(٢) في (ظ) و(ع): (عقابه).
(٣) في (ع): (مشفوق)، وفي (ظ): (مشفقون).
(٤) في (ظ): (خائفون).
(٥) هذا القول في تهذيب اللغة للأزهري (شفق) ٨/ ٣٣٢ منسوباً إلى الليث. انظر: لسان العرب (شفق) ١٠/ ١٧٩، ١٨٠.
(٦) في (أ): (شفقوا).
(٧) (من): ساقطة من (أ) و(ع).
(٨) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ١٠٦، وأبو حيان ٦/ ٤١٠.
(٩) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب.
(١٠) في (ظ)، (ع): (عقابه).

٥٨. قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل: «يصدقون بالقرآن أنه من عند الله»[١] .

٥٩. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ، الأوثان في العبادة ، ولا يعبدون معه غيره ، لكنهم يوحدون ربهم . قاله الكلبي ومقاتل[٢] .

وقال أهل المعاني: هذا بيان بأن[٣] خصال الإيمان لا تصلح إلا بترك الإشراك ، وليس[٤] على ما يقوله أهل الجاهلية: إنَّا مؤمنون بالله ، وهم يعبدون معه غيره[٥] .

٦٠. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ . قال ابن عباس: «يريد يعملون الأعمال الصالحة ويتصدقون[٦] بالصدقة الكثيرة وقلوبهم خائفة من الله -عز وجل- أن لا يقبل ذلك منهم»[٧] .

وقال الكلبي: «قلوبهم خائفة ألا تقبل منهم» .

وقال الحسن: «يعملون ما عملوا من البر والعمل الصالح[٨] وقلوبهم وجلة أيتقبل منهم أم لا[٩] ؟» .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .
(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .
(٣) في (أ) و(ع) : (أن) .
(٤) في (أ) و(ع) : (ليس) .
(٥) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٧/ ٣٣٤ ، ولم ينسبه إلى أحد .
(٦) في (أ) : (ويصدِّقون) .
(٧) روى الطبري ١٨/ ٣٣ عن ابن عباس قال: «يعملون خائفين» .
(٨) في (ظ) : (من العمل الصالح) ، سقط منها (البر) .
(٩) روى وكيع في الزهد ١/ ٣٩٠ ، وأحمد في الزهد ٢٨٦ ، والطبري ١٨/ ٣٢ عن الحسن الشطر الأول منه ، ولفظ باقيه عندهم : «وهم مشفقون» ، وعند الطبري : «يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربِّهم» .

وقال مجاهد في هذه الآية : «المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل»[١] .

وقال قتادة والسدِّي : «يُعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم خائفة من الله»[٢] .

وهذا المعنى الذي ذكره المفسرون هو ما ذكره النبي ﷺ في حديث عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق[٣] ؟ قال : «لا يا ابنة الصديق ! ولكنَّه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه»[٤] .

---

(١) رواه الطبري ١٨/ ٣٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٢) رواه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٦ ، والطبري ١٨/ ٣٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٦ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد . ولم أجد من ذكره عن السدي .

(٣) (ويسرق) : ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٥٩ ، والترمذي في كتاب : التفسير ، ومن سورة المؤمنين ٩/ ٢٠ ، وابن ماجه ٢/ ٤٢٥ في أبواب الزهد ، باب : التوقي على العمل ، والطبري في تفسيره ١٨/ ٣٤ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٤٢١ .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٥ وعزاه إلى من تقدَّم سوى البغوي ، وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين . وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان . والحديث صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي ، وصحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٩٥ـ٩٧ .

وكانت عائشة تقرأ : (يَأْتون ما أَتَوا)[١] ؛ أي يعملون ما عملوا . يقال : فلان يـأتي العمل الصالح ويأتي العمل الخبيث ، ولهذا[٢] ذهـب وَهْمُها[٣] إلى أنه الذي يزني ويشرب[٤] ويسرق .

وسـألها عبيد بن عمير عن قراءتها فقالت : «أشهد لكذلك[٥] كان رسول الله يقرؤها ، وكذلك أنزلت»[٦] .

والقُرَّاء اليوم مجمعون على ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ ﴾ .

قال ابن عمر : «يؤدون الزكاة»[٧] .

---

(١) بفتح الياء ، وألف بعدها ، و(ما أتوا) مقصور .
انظر : الشواذ لابن خالويه ٩٨ ، والمحتسب لابن جني ٢/ ٨٩٥ ، وتعليل القراءات الشواذ للعكبري ٢٧٥ .

(٢) في (ظ) : (وهذا) .

(٣) وهمها ؛ أي ظنها . انظر : الصحاح للجوهري (وهم) ٥/ ٢٠٥٤ .

(٤) ويشرب : ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (كذلك) .

(٦) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : (ل ١٥٧أ) ، والإمام أحمد في مسنده ٦/ ٩٥ ، ١٤٤ ، والبخاري في كتابه الكنى ٢٨ .
قال ابن كثير : في تفسيره ٣/ ٢٤٨ : «فيه إسماعيل بن مسلم المكي ، وهو ضعيف» .
قال ابن كثير ٣/ ٢٤٨ : «والمعنى على القراءة الأولى يعني يؤتون وهي قراءة السـبعة وغيرهم أظهر ؛ لأنَّه قال : (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) فجعلهم من السابقين ، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى ـ يعني : (يأتون ما أتوا) ـ لأوشـك أن لا يكونوا من السـابقين بل من المقتصدين أو المقصرين ، والله أعلم» اهـ .

(٧) رواه الطبري ١٨/ ٣٢ . من رواية ابن أبجر عن ابن عمر ، وفي سنده جهالة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٦ ، وزاد نسبته إلى الفريابي .
وذكر ابن عطيـة ١٠/ ٣٧٠ عن ابن عباس وابن جبير أنهما قالا : «هو عام في جميع أنواع البرِّ ، ثم قال ابن عطية : «وهذا حسن ، كأنَّه قال : والذين يعطون من أنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم» .

وإنما خَصَّ إيتـــاء الزكاة من بين الطاعات ؛ لأن مـــن أدَّى الزكاة وأطاع الله فيها فهو في غيرها أطوع ، وكأنَّ إيتاء الـــزكاة عبارة عن الأعمال الصالحة ؛ إذْ هو الأفضل والأشق على النفس .

قال الحسن في هذه الآية : «المؤمن جمع إحْساناً وشفقةً»[١] .

فأمَّـــا نظم الآية فقد ذكر الفرَّاء وجهاً ، وذكـــر الزَّجَّاج وجهاً آخر ، وجمعهما صاحب النظم وشرحهما .

قال الفرَّاء : «﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أنهم[٢] من أنهم ، فإذا ألقيت (مِنْ) نصبت»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «قلوبهم خائفة ؛ لأنهم إلى ربهم راجعون ؛ أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله يخافون»[٤] .

وقال صاحب النظم : في هذه الآية قولان :

أحدهما : أن يكون قوله : ﴿وَجِلَةٌ﴾ واقعاً على قوله : ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ على تأويل : خائفون[٥] رجوعهم ؛ أي يخافون رجوعهم إلى ربِّهم . [فيكون الخوف منهم واقعاً على البعث والحساب وما يكون فيهما . وهذا معنى قول الفرَّاء .

والقول الآخر : أن يكون الخوف واقعاً على مضمر ، وقوله : ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ ســـبباً له على تأويل : وقلوبهم وجلةٌ أنها لا تقبـــل منهم لعلمهم أنهم إلى ربهم][٦]

---

(١) رواه الطبري ١٨/ ٣٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٥ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم .

(٢) عند الفرَّاء : «وجلةٌ من أنهَّم» .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧ .

(٥) في (أ) و(ع) : (خائفة) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

راجعون . والخوف واقع[١] على أنه لا يقبل منهم نفقاتهم . وقوله[٢] : ﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ سببٌ لهذا الخوف[٣] .

وهذا معنى قول أبي إسحاق وأكثر المفسرين لأنهم جعلوا الخوف واقعاً على أن لا يقبل[٤] منهم[٥] .

٦١. وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ يبادرون في الأعمال الصالحة التي ذكر الله لهم قبل هذه الآية .

قال الزَّجَّاج : «يقال : أسرعت وسارعت في معنى واحد إلا أن سارعت أبلغ من أسرعت»[٦] .

وهذا كقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ ، [الأنبياء :٩٠] وقد مرَّ .

وقوله : ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ . قال أبو إسحاق : «فيه وجهان :

أحدهما : هم إليها سابقون»[٧] .

---

(١) في (أ) : (واقع عليه على أنَّه) بزيادة عليه .

(٢) في (أ) : (قوله) سقطت الواو .

(٣) والمعنى على هذا : سبب الوجل الرجوع إلى ربهم . انظر : الدر المصون ٨/ ٣٥٣ .

(٤) في (ظ) و(ع) : (يتقبَّل) .

(٥) انظر : الطبري ١٨/ ٣٢ ، والقرطبي ١٢/ ١٣٢ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧ . قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٣٥٣ مبيناً قول الزَّجَّاج : «يعني من حيث إنَّ المفاعلة تدل على قوة الفعل لأجل المغالبة» .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧ .

وهذا قول الفرَّاء[١] ، ومعنى قول ابن عباس : «ينافسون فيها أمثالهم من أهل البر والتقوى»[٢] .

وقال الكلبي : «سبقوا الأمم إلى الخيرات» ، وعلى هذا المعنى : هم إلى الخيرات سابقون غيرهم لإسراعهم فيها ومبادرتهم إليها .

«والوجه الآخر : هم من أجلها ، أي من أجل اكتسابها ، كما تقول : أنا أكرم فلاناً لك ، أي من أجلك»[٣][٤] .

والمعنى على هذا القول : وهم لأجل الخيرات سابقون غيرهم ، أي إنما يسبقون غيرهم لأجل اكتسابها .

وذكر صاحب النظم على هذا الوجه معنى آخر لقوله : (سَابِقُونَ) فقال : «تأويل الآية : وهم من أجلها ؛ أي من أجل مسارعتهم في الخيرات سابقون يوم القيامة إلى الجنَّة يسبقون[٥] غيرهم ممن لا يسارع في الخيرات»[٦] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٨ .

(٢) ذكره عنه الماوردي ٤/ ٥٩ ، والبغوي ٥/ ٤٢٢ .

(٣) في (ظ) : (لأجلك) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧ .

(٥) في (ظ) و(ع) : (أي يسبقون) .

(٦) ذكر مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ١١٦ ، هذا القول ولم ينسبه إلى أحد . وانظر : الكشاف :٣/ ٣٥ ، والدر المصون ٨/ ٣٥٤ .

وعلى هذا ، الكناية في لها تعود [إلى المسارعة ودل عليها قوله : ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ ، وعلى ما قال أبو إسحاق يعود][١] إلى الخيرات[٢] .

٦٢. قوله تعالى : ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . قال الكلبي : «إلا طاقتها من العمل ، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصلِّ جالساً»[٣][٤] .

وهذا مما سبق الكلام فيه في سورة البقرة[٥] .

ولا تعلق للقدرية بهذه الآية إن احتجوا بها علينا في تكليف الكافر الإيمان مع إرادة الله كفره ، لأنَ الآية تحمل على ما[٦] لا يتوهم وجوده في المعقول مثل تكليف الأعمى أن ينظر والزَّمِن أن يمشي . فأمَّا إيمان الكافر فذلك جائز في الموهوم أن يكون منه والإرادة مغيبة عنَّا وعنه . ثم يلزمهم مثل هذا في العلم وذلك أن كل من سبقت الإرادة له بالكفر فقد سبق العلم بأنه يموت كافراً والعلم لا يتبدل

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٢) قال الطبري ١٨/ ٣٤ بعد أن ذكر أن بعضهم تأوَّل ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون ، وبعضهم بمعنى : وهم من أجلها سابقون : «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أنَّه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات ، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها» . قال : «وإنَّما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام ؛ لأنَّ ذلك أظهر معنييه ، وأنَّه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك إلى تحويل اللام التي في قوله (وهم لها) إلى غير معناها الأغلب عليها» . اهـ .
وقول ابن عباس الذي أشار إليه رواه هو في تفسيره ١٨/ ٣٤ ، وابن أبي حاتم (كما في تغليق التعليق لابن حجر ٥/ ١٩٠) ، ورواه البخاري في صحيحه ، في كتاب : القدر ، باب : حق القلم على علم الله ١١/ ٤٩١ معلقاً .
قال ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٩٢ : «ويجمع بين تفسير ابن عباس وظاهر الآية أن السعادة سابقة ، وأن أهلها سبقوا إليها ، لا أنهم سبقوها» .

(٣) في (ظ) : (قاعداً) .

(٤) ذكر البغوي ٥/ ٤٢٢ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٥) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة :٢٨٦] .

(٦) في (أ) : (عليها) .

والمعلوم لا يتغير . فإن لزمنا على الإرادة تكليف ما لا يطاق لزم القدرية على العلم تكليف ما لا يطاق .

وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : «يريد اللوح المحفوظ»[١] . وفيه مكتوب كل شيء سبق في علم الله .

﴿ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ يبين بالصدق[٢] . والنطق مستعارٌ للكتاب يراد به التبيين .

ومعنى الآية : إنَّا لا نكلِّف نفساً إلا ما أطاقت من العمل ، ونعلم إيش يعمل[٣] ؛ لأنَّا قد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ ، فهو ينطق به ويبينه .

قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ قال ابن عباس : «لا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم مثقال ذرَّة»[٤] .

٦٣. قوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . قال مقاتل : «يعني الكفار ﴿ فِي غَمْرَةٍ ﴾ في غفلة»[٥] .

وقال الكلبي : «في جهالة»[٦] ، وقد مرَّ قبيل[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب . وفي معنى (الكتاب) هنا قول آخر حكاه الثعلبي ٣/ ٦٢ ب ، هو أنه كتاب إحصاء الأعمال الذي تكتبه الحفظة . واستظهر هذا القول ابن عطية ١٠/ ٣٧٦ ، والقرطبي ١٢/ ١٣٤ ، وقال عنه الشنقيطي في أضواء البيان ٥/ ٧٩٦ إنَّه الحق ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية :٢٩] .

(٢) الطبري ١٨/ ٣٥ .

(٣) في (أ) : (استعمل) .

(٤) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٨١ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٥٨ عند قوله : (في غمرتهم حتى حين) .

(٧) عند قوله تعالى : (فذرهم في غمرتهم حتى حين) .

وقوله : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . قال مجاهد : «يعني القرآن»[١] . وهو قول مقاتل يقول : «في غفلة من الإيمان بهذا القرآن»[٢] .

وذكر أبو إسحاق وجهين آخرين :

أحدهما : أن يكون هذا إشارة إلى [ما وصف من أعمال البر في الآيات المتقدمة .

والثاني : أن يكون إشارة إلى][٣] الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم محصاة فيه[٤] .

قوله : ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد مما سبق في علمي وكان في اللوح المحفوظ» .

وقوله : ﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ . قال الكلبي : «ولهم أعمال خبيثة من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في الآيات[٥] السابقة»[٦] .

وقال مقاتل : «يعني غير الأعمال الصالحة التي ذكرت عن المؤمنين»[٧] .

وعلى هذا الإشارة بقوله ذلك تعود إلى ما ذكر من أعمال البر على المؤمنين .

---

(١) رواه الطبري ١٨/ ٣٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٧ ، ١٨ مع اختلاف يسير .

(٥) في (أ) : (الإيمان) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره البغوي ٥/ ٤٢٢ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .

وقال السدِّي : «﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ قبل أن يقع بهم العذاب ، وذلك يوم بدر» .

وعلى هذا الإشـــارة تعود إلى قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ حِينٍ ﴾ يعني يوم بدر . يقول : لهم أعمال مكتوبة عليهم لا بدَّ من[١] أن يعملوها قبل يوم بدر .

وقـــال صاحب النظم : «﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ من غير ذلك كما قال : ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس :٣٨ ، وهود :١٣] أي لهم أعمال ســـوى ما في قلوبهم من الغمرة التي غمرتها وغلبت عليها» .

قوله : ﴿ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ . [قال ابن عباس : «يريد لا بدَّ أن يعملوها»[٢] .

وقال مقاتل : «يقول وهـــم لتلك الأعمال الخبيثة عاملـــون ،][٣] ؛ أي أنهم سيعملونها لا بدَّ لهم من أن يعملوها»[٤] .

وقال مجاهد : «أعمال لا بدَّ لهم من أن يعملوها»[٥] .

وقال حميد[٦] : «ســـألت الحسن عن قوله : ﴿ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ قال : أعمال لم يعملوها سيعملون بها»[٧] .

---

(١) (من) ساقطة من (أ) .

(٢) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .

(٥) رواه الطبري ١٨/ ٣٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) هو حميد الطويل .

(٧) رواه الطبري ١٨/ ٣٦ عن حميد ، به . وفيه : (سيعملونها) .

وقال أبو إسحاق : «أخبر الله -عز وجل- بما سيكون منهم ، فأعلم أنهم سيعملون أعمالاً تباعد[١] من الله غير الأعمال التي ذكروا بها»[٢] .

وقال الفرَّاء : «أعمال منتظرة مما سيعملونها»[٣] .

قال صاحب النظم : «﴿ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ ؛ أي بها فتقوم اللام مقام الباء ، وقد تكون بمنزلة قوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف :١٥٤] ، وقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف :٤٣] ، وقد يكون بمنزلة من أجل ؛ أي ولهم أعمال سواها هم[٤] من أجل الغمرة التي على قلوبهم عاملون إياها . وفيه دليل على ثبوت القدر لإيجابه -عز وجل- إتيانهم[٥] أعمالاً يعملونها قبل كونها» . هذا كلامه .

وقد ترى إجماع المفسرين وأصحاب المعاني على أنَ هذا إخبار عما سيعملونه من أعمالهم[٦] الخبيثة التي كتبت عليهم لا بدَّ لهم أن يعملوها . ففي هذا دليل على أن كلًّا ميسر لما خلق ، له وأن هؤلاء كتب عليهم ما هم عاملون .

٦٤. قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ . قال ابن عباس ، والكلبي ، ومقاتل ، والسدِّي : «جبابرتهم وأغنياءهم ورؤوسهم»[٧] .

---

(١) في (ع) : (لا تباعد) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٨ .

(٤) (هم) ساقطة من (أ) .

(٥) في (أ) : (إيتنافهم) ، وفي (ظ) و(ع) : (إيتنامهم) ، ولعل الصواب : (إتيانهم) .

(٦) في (أ) : (أعمال) .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب . وذكر الماوردي ٤/ ٦ عن الكلبي أنه قال : «الموسع عليهم بالمال والولد» . وذكر الثعلبي ٣/ ٦٢ ب بعضه من غير نسبة لأحد .

قال المبرد : «المترف : المتقلب في لين العيش»[١] ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [المؤمنون :٣٣][٢] .

وقوله : ﴿ بِٱلْعَذَابِ ﴾ يعني بالسيوف يوم بدر ، وهو قول ابن عباس[٣] ، ومجاهد[٤] ، وقتادة[٥] ، ومقاتل[٦] ، والسدِّي .

وقال الكلبي[٧] ، والضحاك[٨] : «يعني بالجوع سبع سنين ، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ»[٩] .

والقول هو الأول ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «العذاب الذي أخذوا به السيف»[١٠] .

---

(١) (العيش) ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ترف) ١٤/ ٢٧١ ، ولسان العرب (ترف) ٩/ ١٧ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٢ ب .

(٤) رواه الطبري ١٨/ ٣٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) رواه عبدالرزاق ٢/ ٤٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .

(٧) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٨٢ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٢ ب ، وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٨٢ ، مع القائلين بالقول الأول .

(٩) روى البخاري في كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ١١/ ١٩٤-١٩٥ ، ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ١/ ٤٦٦ ، ٤٦٧ من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا قال : سمع الله لمن حمده في الركعة الآخرة من صلاة العشاء قنت : «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف» .

(١٠) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ . والأولى عدم تقييده بعذاب معين . قال ابن كثير ٣/ ٢٤٩ : «أي إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا ، عذاب الله وبأسه ونقمته بهم» .

قوله تعالى : ﴿ إِذَاهُمْ يَجْثُرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يتضرعون»[١] .

وقال السدِّي ومقاتل : «يصيحون إلى الله»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «يضجون»[٣] . قال المبرِّد : «هو الضجيج الشديد» .

وأنشد أبو عبيدة[٤] :

إِنَّنِي وَاللهِ[٥] فَاقْبَلْ حَلِفِي[٦] بِأَبِيلٍ[٧] كُلَّمَا صَلَّى جَأَرْ[٨]

---

(١) أخرج الطبري ١٨/ ٣٧ وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ١٠٨ عن ابن عباس قال : «يستغيثون» .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (جأر) ١١/ ١٧٧ عن السدِّي . وانظر : تفسير مقاتل ٢ ٣١ ب ، وفيه (يضجون) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ .

(٤) في (أ) : (أبو عبيد) ، وهو خطأ .

(٥) في (ظ) و(ع) : (واه) .

(٦) في (ع) : (خلفي) ، ومهملة في (ظ) .

(٧) في النسخ جميعها : (بابيل) مهملة ، والمثبت من مجاز القرآن وغيره .

(٨) البيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٦٠ عند هذه الآية من سورة (المؤمنون) ، ونسبه لعدي بن زيد ، وروايته (فاسمع) مكان (فاقبل) ، وأنشد قبل ذلك ١/ ٣٦١ عند قوله : ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْثَرُونَ ﴾ [النحل :٥٣] منسوباً لعدي ، وروايته هناك : (فاقبل) .
وهو في ديوان عدي بن زيد العبادي ٦١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٨٣٧ ، والأغاني للأصفهاني ٢/ ١١٣ ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٢ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٠٧ كلاهما لابن فارس ، والصحاح للجوهري (أبل) ٤/ ١٦١٩ ، ولسان العرب (أبل) ١١/ ٧ ، وخزانة الأدب ١/ ٦٥ .
ورواية الديوان والأغاني : (لأبيل) مكان (بأبيل) ،
ورواية الديوان والصاحبي : (حلفتي) مكان (حلفي) . وهذا البيت من قصيدة ذكر صاحب الأغاني ٢/ ١١٣ أنه قالها عندما سجنه النعمان بن المنذر ، ومطلعها :
أبلغِ النعمانَ مني مَألكا
قال ابن منظور ١١/ ٧ : «الأبيل بوزنه الأمير الراهب . سُمِّي به لتأبُّله عن النساء وترك غشيانهن . . . وقيل : هو راهب النَّصارى» . =

٦٥. قوله : ﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ ؛ أي يقال لهم : لا تجأروا اليوم ، فأضمر القول .

قال ابن عباس : «يريد لا تتضرعوا][1] عندما أتاكم العذاب» .

﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ . قال مقاتل : «يقول : لا تمنعون منَّا»[2] .

والمعنى : لا تُحفظون من أمر يريده الله بكم ، يعني القتل ببدر .

قال قتادة : «نزلت في الذين قتلوا يوم بدر»[3] .

ثم ذكر أن إعراضهم عن القرآن أوجب أخذهم بالعذاب بقوله :

٦٦. ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يريد القرآن»[4] .

قوله : ﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ . قال مقاتل : «تتأخَّرون عن الإيمان به تكذيباً بالقرآن»[5] .

= والباء في قوله (بأبيل) تحتمل وجهين :
الأول : أن تكون بمعنى الكاف ، وهذا ما ذكره ابن فارس في الصاحبي ، وقال : «قالوا : معناه : كأبابيل ، وهو . . .» .
الثاني : أن تكون باء القسم ، فهو يريد استحلاف النعمان بالله أن يقبل حلفه بالأبيل .
وهذا ما أشار إليه ابن منظور ١١/ ٧ بعد إنشاده البيت ، حيث قال : «وكانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله» .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .
(٣) رواه عبدالرزاق ٢/ ٤٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .
(٤) انظر : الطبري ١٨/ ٣٨ ، والثعلبي ٣/ ٦٣ أ .
(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب ، ٣٢ أ .

ومضى الكلام في النكوص[١] عند قوله : ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [الأنفال :٤٨] .

٦٧. قولـــه : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ . أكثر المفسرين على أن الكناية في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾[٢] تعود إلى الحرم ، أو إلى البيت ، أو إلى البلد مكة .

قال مجاهد : «﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ بالبلد مكة»[٣] .

وقال أبو صالح : «بالبيت»[٤] .

وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[٥] .

قال قتادة : «مستكبرين بالحرم ، يقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف»[٦] .

ونحو هذا قال السدِّي ، ومقاتل ، وإبراهيم[٧] ، واختاره الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وابن قتيبة ، [وأبو علي .

قال الفرَّاء : «﴿ بِهِۦ ﴾ بالبيت العتيق ، يقولون : نحن أهله»[٨] .

---

(١) في (ع) : (النكص) .

(٢) (به) ساقطة من (ظ) .

(٣) رواه الطبري ٨/ ٣٨ ، وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٨ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) لم أجد من ذكر عنه هذا القول . وقد روى عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ١٠٨ عن أبي صالح قال : «بالقرآن» .

(٥) رواه النسائي في تفسيره ٢/ ٩٨ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٩٤ من رواية سعيد بن جبير ، عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٩ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٦) رواه عبدالرزاق ٢/ ٤٧ ، والطبري ١٨/ ٣٩ ، ٤٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٨ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٧) قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٢ أ ، ولم أجد من ذكره عن السدِّي وإبراهيم .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٩ .

وقال الزَّجَّاج : «﴿ بِهِۦ ﴾ بالبيت الحرام»[١] .

وقال ابن قتيبة][٢] : «﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ أي بالبيت العتيق ، يفخرون ويقولون : نحن ولاته»[٣] .

وقال أبو علي : «مستكبرين بالبيت والحرم لأمنكم فيه ، مع خوف سائر الناس في مواطنهم»[٤][٥] .

وعلى هذا فالكناية عن غير مذكور .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ يريد بالقرآن»[٦] .

وذكر أبو إسحاق هذا الوجه فقال : «ويجوز أن تكون الهاء للكتاب ، فيكون المعنى : فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين بالكتاب ، أي يحدث لكم بتلاوته عليكم استكباراً»[٧] .

والمعنى على هذا القول : مستكبرين بسبب القرآن أو الكتاب .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٨ .

(٤) في (أ) : (مواصلتهم) .

(٥) الحجة لأبي علي ٥/ ٢٩٨ .

(٦) تقدَّم أن هذا القول قال به أبو صالح .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨-١٩ . وجوَّد ابن عطية ١٠/ ٣٧٨ هذا الوجه .
وذكر الزمخشري ٣/ ٣٦ ، وأبو حيان ٦/ ٤١٢ ، والسمين الحلبي ٨/ ٣٥٨ وجهاً أجود من هذا ، وهو أن الكناية في (به) تعود للقرآن ، ومستكبرين ضُمِّن معنى مكذِّبين فعُدِّي بالباء . وهو مناسب لقوله تعالى قبل ذلك : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ فهؤلاء جمعوا بين التكذيب والاستكبار .

قوله : ﴿ سَٰمِرًا ﴾ السَّمر[١] : حديث القوم بالليل ، يقال : سمر يسمر سمراً ، فهو سامر[٢] ، ومنه الحديث : «جدب[٣] عمر السَّمر بعد العشاء»[٤] .

وذكر أبو إسحاق اشتقاق السَّمر فقال : «إنما سموا سماراً من السَّمر وهو[٥] ظل القمر ، وكذلك السمرة في الألوان مشتقة من هذا» . هذا كلامه[٦] .

والسَّمر عنده ظل القمر .

وقال الفرَّاء : «السَّمر كل ليلة ليس فيها قمر ، ومنه قول العرب : لا أفعل ذلك السَّمر والقمر ، أي ما طلع القمر وما لم يطلع»[٧] .

---

(١) في (ع) : (السمر : الحديث ، حديث) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سمر) للأزهري ١٢/ ٤١٩ ، والصحاح للجوهري ٢/ ٦٨٨ ، ولسان العرب ٤/ ٣٧٧ .

(٣) في (أ) : (جدب) ، وفي (ظ) : (جدث) ، وهي ساقطة من (ع) .

(٤) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٣٠٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٧٩ «عن حذيفة رضي الله عنه : أن عمر جدب لنا السمر بعد العشاء» . وعند أبي عبيد : (العتمة) . ورواه ابن أبي شيبة ٣/ ٢٧٩ أيضاً عن سلمان بن ربيعة قال : «كان عمر بن الخطاب يتجدب لنا السمر بعد العتمة» . وذكره ابن كثير في مسند عمر بن الخطاب ١/ ١٩٩ من حديث ابن مسعود : «أجدب لنا عمر السمر بعد العشاء» .
قال أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٣٠٨ : «قوله : جدب السمر يعني : عابه وذَمَّه» . وانظر : تهذيب اللغة (جدب) ١٠/ ٦٧٣ ؛ فقد ذكر الحديث وتفسير أبي عبيد له .

(٥) (وهو) ساقطة من (أ) و(ع) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ ، وليس في المطبوع : (في الألوان) .

(٧) كلام الفرَّاء في تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٤١٩ من رواية سلمة عن الفرَّاء ، وليس في معاني القرآن .

وجعل ابن أحمر السَّمر ليلاً فقال[١] :

مِنْ دونِهِمْ إِنْ جِئْتُهُمْ سَمَراً حَيٌّ[٢] حَلالٌ لَمْلَمٌ عكرُ[٣]

أراد إنْ جئتهم ليلاً[٤] .

[والحديث بالليل سُمِّي سمراً باسم[٥] الليل][٦] ، أو لأنهم كانوا يتحدثون[٧] بالليلة المقمرة في ظلِّ القمر[٨] .

وذكر المفضل على العكس من هذا فقال : «السَّمر الحديث بالليل ، ثم كثر ذلك حتى سموا الظلمة سمراً»[٩] ، ومنه قولهم : حلف فلان بالسَّمر والقمر[١٠] .

---

(١) بيت ابن أحمر بهذه الرواية في تهذيب اللغة للأزهري (سمر) ١٢/ ٤١٩ ، ولسان العرب (لمم) ١٢/ ٥٥٠ ، وتاج العروس للزبيدي (سمر) ١٢/ ٧٣ . وهو في ديوان ابن أحمر ٩٢ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٦٠ ، والذيل والتكملة للصاغاني (سمر) ٣/ ٣٥ مع اختلاف في المصراع الثاني ، فروايته عندهم :

عزْفُ القيانِ ومجلسٌ غَمْرُ

وصدر البيت في غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٨ منسوباً إلى ابن أحمر .

وقوله : (حي حلال) قال الأزهري في تهذيب اللغة (حلل) ٣/ ٤٣٩ : «قال أبو عبيد : الحلال : جماعات بيوت الناس ، واحدها حلة ، قال : وحي حلال ؛ أي كثير» . اهـ .

لملمٌ : مجتمعٌ . لسان العرب (لمم) ١٢/ ٥٥٠ ، وعكر : مختلط . الصحاح للجوهري (عكر) ٢/ ٧٥٦ .

(٢) في (ع) : (حتى) .

(٣) في (ظ) : (عكرا) .

(٤) من قوله : (وجعل ابن أحمر . . . . .) إلى هنا ، نقلًا عن تهذيب اللغة للأزهري (سمر) ١٢/ ٤١٩ .

(٥) في (أ) : (اسم) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٧) في (ع) : (يحدثون) .

(٨) انظر : لسان العرب ٤/ ٣٧٧ .

(٩) ذكر الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/ ٤٢٠ نحو هذا القول عن الأصمعي .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ٤٢٠ ، ولسان العرب ٤/ ٣٧٧ .

واختلفوا في السَّمر هاهنا :

فالأكثرون على أن السامر هاهنا : اسم للجماعة الذين يسمرون ، وهو معنى قول ابن عباس[١] وأكثر المفسرين[٢] .

قال أبو إسحاق : «السامر الجماعة الذين[٣] يتحدثون ليلاً»[٤] .

وقال المبرِّد[٥] :«السامر : اسم للجماعة[٦] ، ويقال : هو في السَامر . أي السُّمّار»[٧] ، وأنشد لوضَّاح اليمن[٨] :

قالَتْ : إِذا جِئْتَ أَبا جابِرٍ
فَأْتِ إِذا ما هَجَعَ السَّامِرُ[٩]

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٩ عن ابن عباس في قوله : (سامراً تهجرون) قال : «كانت قريش يتحلقون حلقاً يتحدثون حول البيت» ، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) انظر : الطبري ١٨/ ٣٩ ، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) (الذين) : موضعها بياض في (ظ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ .

(٥) ذكر النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤٧٥ عن المبرِّد أوَّله بمعناه .

(٦) في (ظ) : (الجماعة) .

(٧) في (أ) : (السما) .

(٨) هو عبدالرحمن ، وقيل : عبدالله ، وقيل : وضاح بن إسماعيل بن كلال ، من آل حولان ، الحميري ، شاعر غزل ونسيب . قيل إنه قَدِمَ مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبدالملك فرأى (أم البين) بنت عبدالعزيز ابن مروان زوجة الوليد ، فغزل بها ، فقتله الوليد . انظر : فوات الوفيات ١/ ٢٥٣ ، والأغاني ٦/ ٣٠ـ٤٤ ، والنجوم الزاهرة ١/ ٢٦٦ ، والأعلام ٣/ ٢٩٩ .

(٩) البيت في الأغاني للأصفهاني ٦/ ٢١٦ ، ورواية صدره فيه :

قالتْ : لقد أعييتَنا حُجَّةً فَأتِ . . . .

وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١/ ٢٢٦ ورواية صدره :

قالت : فأمَّا كنت أعييتنا

أحد أبيات قصيدة يذكر فيها (روضة) صاحبة ، ومطلعها :

قالتْ : ألا لا تَلِجْن دارنا إنَّ أبانا رجلٌ غائرُ

وقال الأزهري : «قد جاءت للعرب حروف على لفظ فاعل وهي جمع . فمنها الجامل وهي الإبل تكون فيها الذكور[١] والإناث ، والسامر : القوم يسمرون ليلاً ، والحاضر : الحي النَّازل على الماء ، والباقر : البقر»[٢][٣] .

وذهب قوم إلى أن السامر هاهنا واحد في معنى الجمع كما يراد بالواحد الجمع كقوله : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج :٥] ، وهو مذهب المفضَّل وأبي عبيدة[٤] ، وأنشد[٥] :

في حاضِرٍ لَجِبٍ بِاللَّيْلِ سامِرُهُ فيهِ الصَّواهِلُ وَالرَّاياتُ وَالعكرُ

وقال مجاهد : «بالقول في القرآن»[٦] .

---

(١) في (أ) : (الذكورة) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (والبقر) .

(٣) تهذيب اللغة (سمر) ١٢/ ٤١٩ ، مع اختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٦٠ . ولم أجد من ذكره عن المفضل ، وقد ذكر الثعلبي ٣/ ٦٢ ب -٦٣ أ هذا القول ، وصدَّره بقوله : قيل ، والثعلبي ينقل عن المفضَّل .

(٥) ورد البيت في حاشية نسخة (س) من المجاز من غير نسبة كما ذكر ذلك محققه ٢/ ٦٠ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري (حضر) ٤/ ٢٠٠ ، والمحكم لابن سيده ٣/ ٨٦ ، ولسان العرب (حضر) ٤/ ١٩٧ . وعجزه بلا نسبة في مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ١٠٦ . الحاضر : الحيُّ العظيم ، والحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم . ابن سيدة ٣/ ٨٦ ،
ولجب ؛ أي ذو جلبة وكثرة . الصحاح (لجب) ١/ ٢١٨ .
والصواهل ، قال ابن منظور ١١/ ٣٨٦ : «الصَّواهِل : جمع الصَّاهلة ، مصدر على فاعلة بمعنى الصهيل ، وهو الصوت كقولك : سمعت رواي الإبل . والصَّهيل للخيل» .
والرايات : الأعلام ، واحدها راية . القاموس المحيط (روى) ٤/ ٣٣٨ .
والعكرُ ، قال ابن فارس في مقاييس اللغة ٤/ ١٠٦ : «العكرُ : القطيع الضَّخْم من الإبل فوق الخمسمائة» . ثم أنشد عجز البيت .

(٦) رواه الطبري ١٨/ ٤٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٨ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

وقال الكلبي : «يقولون الهُجْرَ من سب النبي ﷺ»[١] .

وقال السدِّي : «تهجرون محمداً بالشتيمة»[٢] .

وقال إبراهيم : «تقولون فيه غير الحق»[٣] ، ونحو هذا قال عكرمة[٤] .

وقال الحسن : «تهجرون رسول الله ﷺ وكتاب الله»[٥] .

وقال مقاتل : «تهجرون القرآن فلا تؤمنون به»[٦] .

وذكر الفرَّاء ، والكسائي ، والزَّجَّاج ، القولين جميعاً .

قال الفرَّاء : «إذا كان الليل وسمرتم هجرتم القرآن والنبي ﷺ ، فهذا من الهجر ، أي تتركون ذلك وترفضونه» ، قال : «ويجوز أن تجعله من الهذيان يقال : هجر الرجل في منامه ، إذا هذى . أي أنكم تقولون فيه ما ليس فيه ولا يضره فهو كالهذيان»[٧] .

---

(١) روى عبدالرزاق ٢/ ٤٧ عن الكلبي قال : «يقولون هجراً . والهجر : القبيح من الكلام» . القاموس المحيط ٢/ ١٥٨ .

(٢) لم أجد من ذكره عنه .

(٣) روى الطبري ١٩/ ٩ ، وابن أبي حاتم ٧/ ١٨٠ عن إبراهيم النخعي في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان : ٣٠] قال : «قالوا فيه غير الحق ، ألم ترَ إلى المريض قال غير الحق» .

(٤) روى عبيد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ١٠٩ عنه قال : «تهجرون الحق» ، وذكر النحاس عنه في معاني القرآن ٤/ ٤٧٦ أنه قال : «تشركون» .

(٥) رواه عبدالرزاق ٢/ ٤٧ ، والطبري ١٨/ ٤١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٨ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ أ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٩ مع اختلاف يسير .

ونحو هذا ذكر الكسائي[١] ، والزَّجَّاج[٢] .

واختار[٣] المفضل ، وأبو علي القول الثاني .

فقال المفضل : «يعني تهجرون القرآن وترفضونه فلا تلتفتون إليه» .

وقال أبو علي : «المعنى أنكم كنتم[٤] تهجرون آياتي وما يتلى عليكم من كتابي ، فلا تنقادون له وتكذبون به ، كقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ [المؤمنون :٦٦]»[٥] .

وقرأ نافع (تُهجِرون) بضم التاء[٦] ، وهو قراءة ابن عباس ومجاهد[٧] ، وقالا : «هو من الهجر وهو الفُحْش ، وكانوا يسبُّون النبي ﷺ إذا خلوا حول البيت»[٨] .

---

(١) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١١٨ عنه أنه قال : «تهجرون : تهذون» .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨ .

(٣) في (أ) : (واختيار) .

(٤) (كنتم) ساقطة من (أ) .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٩٨ .

(٦) وكسر الجيم . وقراءة الباقين بفتح التاء وضم الجيم . السبعة ٤٤٦ ، والتيسير ١٥٩ ، والنشر ٢/ ٣٢٩ .

(٧) قراءة ابن عباس في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٧٦ . وقد روى الأزهري في علل القراءات ٢/ ٤٣٧ من طريق مجاهد عن ابن عباس هذه القراءة .

(٨) من قوله : (وهو قراءة ابن عباس . . . . .) إلى هنا ، هذه عبارة الفرَّاء كما في معاني القرآن ٢/ ٢٣٩ ، وتهذيب اللغة ٦/ ٤١ مع اختلاف يسير في أوله ، وزاد الواحدي مجاهداً . وقد روى الطبراني في الكبير ١١/ ٧٤ من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذا الحرف (مستكبرين به سامراً تهجرون) قال : «كان المشركون يهجرون رسول الله ﷺ في شعرهم» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٣ : «وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو ضعيف» . اهـ .
ورواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٤٦ مرفوعاً من طريق يحيى به عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ . . . . الحديث .
قال الحاكم : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» . فتعقَّبه الذهبي بقوله : «قلت : بل يحيى متروك ، قال النسائي» . وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٩ بمثل رواية الحاكم ، ونسبه إليه وإلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه .

يقال : هجر يهجر هجراً وهجراناً[١] ، إذا صرم[٢] وتباعد ونأى . وهجر يهجر هجراً ، إذا قال غير الحق[٣] ، ومنه قول أبي سعيد الخدري لبنيه : «إذا طفتم[٤] بالليل فلا تلغوا ولا تهجروا[٥] ؛ أي لا تهذوا»[٦] .

والهجر هو الإفحاش في النطق ، قاله الكسائي والأصمعي[٧] ، ومنه قوله ﷺ في زيارة القبور : «فزوروها ولا تقولوا هُجراً»[٨] ، ويقال من هذا : أهْجَر الرجل يهجر . قال الشمَّاخ :

كَما جدَّةِ الْأَعْراقِ قالَ ابْنُ[٩] ضَرَّةٍ   عَلَيْها كَلاماً جـارَ فيهِ وَأَهْجَرا[١٠]

---

(١) بالكسر قاله الفيروزآبادي ٢/ ١٥٧ .

(٢) صرم : قطع . لسان العرب (صرم) ١٢/ ٣١٣ .

(٣) انظر : الصحاح (هجر) للجوهري ٢/ ٨٥١ ، ولسان العرب ٥/ ٢٥١-٢٥٤ .

(٤) في (أ) : (حلفتم) .

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٦/ ٤٢ عن أبي سعيد ، ورواه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٦٣ ، ٦٤ .

(٦) تهذيب اللغة ٦/ ٤٢ منسوباً لأبي عبيد ، وهو في غريب الحديث ٢/ ٦٤ .

(٧) ذكره عنهما الأزهري في تهذيب اللغة (هجر) ٦/ ٤٢ من رواية أبي عبيد عنهما ، وهو في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٦٣ .

(٨) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٦٣ ، والإمام أحمد في مسنده ٥/ ٣٦١ ، والنسائي في سننه في كتاب : الجنائز ، باب : زيارة القبور ٤/ ٨٩ من حديث بريدة . قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/ ٥٧٦ عن رواية النسائي : (بسند صحيح) .

(٩) في (أ) : (لضرة) ، وفي (د) و(ع) : (لي ضرة) ، والتصويب من غريب الحديث والتهذيب وغيرهما .

(١٠) بيت الشماَّخ في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٦٣ ، وتهذيب اللغة للأزهري (هجر) ٦/ ٤٢ ، والمحتسب لابن جني ٢/ ٩٦-٩٧ ، وفيه : (الأعراف) ، وهو تصحيف ، والصحاح للجوهري (هجر) ٢/ ٨٥١ ، ولسان العرب (هجر) ٥/ ٢٥٣ ، كلهم بمثل الرواية هنا . والبيت في ديوانه ١٣٥ وروايته فيه : «مُمَجَّدة الأعراق» .

وقال عبدالله بن بَـرِّي في كتابه التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ٢/ ٢٣٥ : «المشهور في رواية البيت عند أكثر الرواة : (مبرأة الأخلاق) عوضاً من قوله : (كما جدة الأعراق) ، وهو صفة لمخفوض في بيت قبله ، وهو :

كـأنَّ ذراعيهـا ذراعَـا مُـدِلِـةٍ   بعيدَ السباب حـاولـتْ أنْ تَـعَـذَّرا =

والاختيار القراءة الأولى ؛ لأنها تجمع[١] المعنيين[٢] .

وتقدير الآية : مستكبرين به سامرين هاجرين . غير أن الحال ترد بعبارات[٣] فتكون أحسن ، كما تقول : رأيت فلاناً راكباً يحدث وهو غضبان . [فتغير عبارات الحال ، ويكون أحسن[٤] من أن تقول : رأيته راكباً محدثاً غضبان][٥] .

واختلفوا في موضع الوقف في هذه الآية :

فالأكثرون على أن الوقف في آخرها ؛ لأنه منتهى ذكر الأحوال ، ولا يحسن الوقف في أثنائها[٦][٧] .

وقال أبو حاتم[٨] : «يحسن الوقف على قوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ بِهِۦ سَٰمِرًا ﴾»[٩] ، وهذا مذهب النحاس وابن الأنباري .

= يقول : كأنَّ ذراعي هذه الناقة في حسنها وحسن حركتها ذراعا امرأة مدلة بحسن ذراعيها أظهرتهما بعد السِّباب لمن قال فيها من العيب ما ليس فيها ، وهو قول ابن ضرتها ، ومعنى تعذَّر ؛ أي تعتذر من سوء ما رميت به» . اهـ .

(١) في (أ) : (جمع) .

(٢) انظر : في توجيه القراءتين علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٣٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٩٢ ، ٩٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٩ .

(٣) في (أ) : (بمسارات) .

(٤) في (أ) : (من احسن) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٦) في (أ) : (أبنائها) .

(٧) انظر : القطع والائتناف للنحاس ٥٠٣ ، و منار الهدى للأشموني ٢٦٣ .

(٨) هو أبو حاتم السجستاني .

(٩) ذكره عنه النحاس في القطع والائتناف ٥٠٣ ، والداني في المكتفى ٤٠٢ ، والأشموني في منار الهدى ٢٦٣ .

قال النحاس : «﴿ بِهِۦ ﴾ ؛ أي بالبيت ، ﴿ سَٰمِرًا تَهۡجُرُونَ ﴾ آياتي أو تهذون»[١] .

وقال ابن الأنباري : «﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ وقف حسن ، ثم تبتدئ ﴿ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهۡجُرُونَ ﴾ على معنى : بالبيت العتيق تهجرون النبي ﷺ والقرآن في وقت سمركم» ، قال : «ويجوز أن يكون معنى ﴿ تَهۡجُرُونَ ﴾ تهذون»[٢] .

وقال العباس بن الفضل[٣] : «الوقف الكافي ﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ ﴾»[٤] .

وعلى هذا يكون قوله : (سامراً) حالاً مؤخرة في التقدير ؛ أي تهجرون سامرين بالليل .

٦٨. قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ أي أفلم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والآيات الدالة على صدق محمد ﷺ .

وذكرنا معنى التدبُّر عند قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [النساء :٨٢] .

وقوله : ﴿ أَمۡ جَآءَهُم ﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد : أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم ؟ فكذلك بعثنا محمداً ﷺ»[٥] .

وهذا استفهام يتضمن الإنكار ، وكذلك ما بعده من قوله :

---

(١) القطع والائتناف ٥٠٣ . ووقع في المطبوع : (إبنيائي أو تهزؤن) .

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٧٩٢ ، ٧٩٣ .

(٣) هو أبو القاسم ، العباس بن الفضل بن شاذان بن عيسى ، الرازي ، المقرئ ، إمام في القراءة متقن مشهور ، صاحب القاطع والمبادئ ، روى عنه القراءة ابن مجاهد وغيره ، وبقي إلى سنة ٣١٠هـ . انظر : معرفة القراء للذهبي ١/ ٢٣٦ ، وغاية النهاية لابن الجزري ١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) ذكر قوله النحاس في القطع والائتناف ٥٠٣ ، والداني في المكتفى ٤٠٢ .

(٥) ذكر هذا المعنى البغوي ٥/ ٤٢٣ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٨٤ من غير نسبة لأحد .

٦٩. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ . قال ابن عباس : «أليس هو محمد ابن عبدالله ؟ يعرفونه صغيراً وكبيراً ، صادق اللسان يفي بالعهد ويؤدي الأمانة»[١] .

وفي هذا توبيخ لهم وإنكار عليهم بالإعراض عنه بعد ما عرفوا نسبه وصدقه وأمانته .

قال سفيان وأبو صالح في هذه الآية : «بلى ، قد عرفوه[٢] ولكنَّهم حسدوه»[٣] .

٧٠. قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : وأيَّ جنون يرون به ؟» .

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالتنزيل الذي هو الحق ، يعني القرآن في قول ابن عباس[٤] . وقال مقاتل : «يعني بالتوحيد»[٥] .

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ للقرآن أو التوحيد[٦] ﴿كَٰرِهُونَ﴾ .

---

(١) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٢٣ .

(٢) في (ع) : (عرفوا) .

(٣) ذكره القرطبي ١٢/ ١٤٠ عن سفيان ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٠ عن أبي صالح ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . ولم أره في المطبوع من الطبري .

(٤) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٨٤ هذا المعنى من غير نسبة إلى أحد .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ أ .

(٦) في (ع) : (للتوحيد) .

٧١. قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ . قال أبو صالح[١] ، وابن جريج[٢] ، ومقاتل[٣] ، والسدِّي[٤] ، والكلبي[٥] : «الحق هو الله» . والمعنى : لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السماوات والأرض .

وقال الفرَّاء والزَّجَّاج : «ويجوز أن يكون المراد بالحق هاهنا : التنزيل ، أي نزل بما[٦] يريدون ويحبون[٧] . يعني[٨] من جَعْل[٩] شريك وإثبات آلهة» .

﴿ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾ [الأنبياء :٢٢] ، وقد مرَّ .

وقال بعض أهل المعاني : الحقُّ لما كان يدعو إلى المحاسن والأهواء تدعو إلى المقابح ؛ فلو اتبع الحق داعي الهوى لدعا إلى المقابح التي فيها الفساد والاختلال[١٠] ، فكان يوجد بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه ، فكان[١١] ينقلب الأمر ويكثر الفساد[١٢] .

---

(١) رواه الطبري ١٨/ ٤٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٠ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه عنه الطبري ١٨/ ٤٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ أ .

(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٢٤ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٨٤ .

(٥) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٧ .

(٦) في (ظ) : (ما) .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٩ .

(٨) (يعني) ساقطة من (أ) .

(٩) في (ظ) : (فعل) .

(١٠) في التبيان ٧/ ٣٣٨ : (والاختلاط) .

(١١) في (أ) : (وكان) .

(١٢) ذكره الطوسي في التبيان ٧/ ٣٣٨ ، ولم ينسبه لأحد .

قولـــه : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي جاء فيه فخرهم وشرفهم .

قـــال ابن عبـــاس : «هو كقولـــه : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا ﴾ [الأنبيـاء :١٠] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف :٤٤]»[١] .

وقوله : ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ . قال : «يريد تولوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة»[٢] .

٧٢. قولـــه تعـــالى : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا ﴾ . قـــال ابـــن عباس : «يريـــد مالاً يعطونك» .

وقال مقاتل : «يعني لم يسألهم محمدٌ أجراً على الإيمان بالقرآن»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «أي لم تسألهم على ما أتيتهم به أجراً»[٤] .

قوله : ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ . قال ابن عباس : «فعطاء ربك خير»[٥] .

وقال مقاتل : «فأجر ربك أفضل من خراجهم»[٦] .

---

(١) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٢٤ .
(٢) ذكر الماوردي ٤/ ٦٣ هذا المعنى عن السدي .
(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢أ .
(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٩ .
(٥) ذكر البغوي ٥/ ٤٢٤ وابن الجوزي ٥/ ٤٨٥ هذا المعنى من غير نسبة لأحد .
وذكره أبو حيان ٦/ ٤١٥ نحو هذا المعنى عن الكلبي .
(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢أ .

والمعنى : إن أجر ربك وثوابه خير لك .

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أفضل من أعطى وأجزل[١] وآجر .

وقال أهل المعاني : «قد دلت الآية على أن غير الله يرزق ، ولولا ذلك لم يجز ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾»[٢] .

ويقال : رزق الأمير جنده فارتزقوا ارتزاقاً[٣] .

٧٣. ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَتَدْعُوهُمْ ﴾ يعني كفار قريش ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو دين الإسلام .

٧٤. قوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «بالبعث والثواب والعقاب ﴿ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ عن الدين لعادلون»[٤] .

وقال الفرَّاء : «المعرضون عن الدين»[٥] .

---

(١) (وأجزل) ساقطة من (أ) و(ظ) .

(٢) ذكر الرازي ٢٣/ ١١٢ هذا القول ، وعزاه للجبَّائي .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (رزق) ٨/ ٤٢٩ منسوباً إلى الليث .

(٤) روى الطبري ١٨/ ٤٤ عن ابن عباس قال : «عن الحق عادلون» ، وهو في تفسير مقاتل ٢/ ٣١ أ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٠ .

يقــال : نكب فلان عن الطريق تنكب نكوبــاً ، إذا عدل عنه ، والنعت منه : ناكب . ويقال : نكَّبَ عن الصَّواب تنكيباً ، ونكَّب غيره ، يتعدَّى ولا يتعدَّى[١] . وفي الحديث[٢] : «نكِّبْ عنا ابن[٣] أم عبد» ؛ أي نَحِّه عنَّا .

ويقال : تنكب عنَّا فلان تنكباً ، ؛ أي مال عنَّا[٤] .

وينشد قول سعد بن ناشب[٥] :

وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبا[٦]

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (نكب) ١٠/ ٢٨٦ ، والصحاح ١/ ٢٢٨ ، ولسان العرب ١/ ٧٧٠ ، والقاموس المحيط ١/ ١٣٤ ، وتحفة العروس ٤/ ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٢) هذا من كلام عمر –رضي الله عنه– أنه قال لهني مولاه : نكِّب . . . .
وهذا الأثــر ذكره الأزهري في تهذيب اللغــة ١٠/ ٢٨٦ ، وابن منظور في لســان العرب ١/ ٧٧٠ ، والزبيدي في تاج العروس ٤/ ٣٠٥ ، ولم أقف عليه مسنداً .

(٣) في (أ) : (إبر) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٨٦ ، وانظر : تحفة العروس (نكب) ٤/ ٣٠٥ .

(٥) في (أ) : (ناسب) ، وفي (ظ) : (نابت) ، وفي (ع) : (نائب) ، والتصويب من مصادر ترجمته .
وهو ســعد بن ناشــب بن معاذ بن جعدة المازني ، التميمي ، من بني العنبر ، شــاعر فاتك من مردة العرب ، من أهل البصرة ، وهو شاعر إسلامي في الدولة المروانية . انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٦٤ ، وخزانة الأدب ٨/ ١٤٥ ، والأعلام ٣/ ٨٨ .

(٦) هذا عجز بيت لابن ناشب ، وصدره :
إذا هَمَّ ألقى بينَ عينيهِ عزمَهُ
وهو من أبيات قالها سعد وكان أصاب دماً ، فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة وحرَّقها . وقيل : إن الحجاج هو الذي هدم داره . ويقال : إن سعداً قُتل له حميم ، وإنَّه أوْعَده بلال بهدم داره إن طالب بثأره ، فقال :
سَأغْسلُ عَنِّي العارَ بالسَّيفِ جالباً ... عليَّ قضاءُ اللهِ ما كانَ جالبا
وأذهلُ عنْ داري وأجعلُ هدمَها ... لعرضي منْ باقي المذمَّةِ حاجبا
الأبيات . . . .والبيت في الشــعر والشعراء لابن قتيبة ٤٦٤ ، والزهرة لابن داود ٢/ ٢١١ ، والحماسة لأبي تمام :١/ ٧٠ ، والكامل للمبرِّد ١/ ٢٠٦ ، وفيه : (فأعرض) عوضاً من (فنكِّب) .
قال المرزوقي في شرح الحماســة ١/ ٧٣ : «قوله : (ألقى بين عينيه عزمه) أي جعله بمرأى منه لا يغفل عنه ، =

[على اللزوم][1] .

وقال الطُّهَوي[2] :

فَنَكَّبَ عَنْهمُ دَرْأ الأعَادِي[3]

= وقد طابق في المعنى لما قابله قوله : (ألقى بين عينيه عزمه) بقوله : (نكَّب عن ذكر العواقب جانبا) . . . وانتصب (جانباً) على أنه ظرف ، ونكَّب يكون بمعنى : تنكَّب ، والمعنى : أنه إذا هَمَّ بالشيء جعله نَصْب عينيه إلى أن ينفذ فيه ويخرج منه ، ويصير في جانب من الفكر في العواقب . ويجوز أن ينتصب (جانباً) على المفعول ، ويكون (نكَّب) بمعنى : حَرَّف ، والمراد انحرف عن ذكر العواقب وطوى كشحه دونه» . اهـ .

(١) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) هو أبو الغُول الطُّهَويُّ ، وهو من قوم من بني طُهَيَّة يقال لهم : بنو عبد شمس بن أبي سود ، وأبو سود هو ابن مالك بن حنظلة التميمي ، وأمُّ أبي سود : طُهَيَّة بنت عبد شمس بن سعد بن مناة بن تميم . وكان أبو الغُول يكنى أبا البلاد ، وقيل له : أبو الغول ؛ لأنه ـ في ما زعم ـ رأى غولاً فقتلها . وذكر التبريزي أنه شاعر إسلامي ، وأمَّا البغدادي فذكر أنَّه لم يقف على كونه جاهلياً أو إسلامياً . انظر : المؤتلف والمختلف للآمدي ١٦٣ ، وشرح الحماسة للتبريزي ١/ ١٤ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٦/ ٤٣٨ .

(٣) هذا صدر بيت لأبي الغُول ، وعجزه :

وداوَوْا بالجُنونِ منَ الجُنونِ

وقبله :

هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقْبَى بِضَرْبٍ يؤلِّفُ بينَ أشتاتِ المُنُونِ

فنكّب . . . .

وهو في الحماسة لأبي تمام :١/ ٦٢ ، والحيوان للجاحظ ٣/ ١٠٧ ، وأمالي القالي ٢/ ٢٦١ ، وبهجة المجالس لابن عبدالبر ١/ ٥١٦ ، وفيه : (ظلم) عوضاً من (درأ) ، وخزانة الأدب للبغدادي ٦/ ٤٣٤ .

قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة ١/ ١٧ : «نكَّب قد جاء متعدياً إلى مفعولين ، . . . . ، والأكثر نكبته عن كذا ، . . . . معناه : أن الضَّرْب حَرَّف عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعداء وخلافهم ، الدرء : أصله الدفع ، ثم استعمل في الخلاف ؛ لأن المختلفين يتدافعان . (وداوَوْا بالجنون من الجنون) ؛ أي داوَوْا الشر بالشر ، كما قالوا : الحديد بالحديد يفلح ، والجنون هاهنا مثل ومعناه : اللجاج في الشر وركوب الرأس فيه» . اهـ .

يُروى بالوجهين[١] .

ويقال أيضاً : نكب ينكب[٢] إذا مال ، والنعت منه أنكب[٣] ونكباء[٤] .

٧٥. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ . قال المفسرون : «يعني الجوع الذي أصابهم بمكة سبع سنين»[٥] .

قوله : ﴿لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ لتمادوا في ضلالتهم يترددون .

يقال : لجَّ فلان يلج ويلج لغتان[٦] . قال :

لَـجَجْنا وَلَجَّتْ هذِهِ فِي التَّغَضُّبِ[٧]

قال الفرَّاء : «يقال : لَجَجْت -بالفتح والكسر- لَجاجَة ولَجَجاً»[٨] .

---

(١) يعني على التعدي واللزوم . فعلى رواية التعدي : نكَّبَ عنهم درأ الأعادي . يكون المعنى أن الضرب حَرَّف وأمال عن هؤلاء القوم درأ الأعادى كما ذكر التبريزي .
وعلى رواية اللزوم : فنكَّبَ عنهم درأ الأعادي . يكون نكَّبَ بمعنى تنكَّبَ ، والمعنى أن درأ الأعادي عَدَل وتنحَّى عنهم .

(٢) كفرح ونصر . لسان العرب ١/ ٧٧٠ ، والقاموس المحيط ١/ ١٣٤ .

(٣) في (ظ) : (نكب) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نكب) ١٠/ ٢٨٥ ، والصحاح ١/ ٢٢٨ ، وأساس البلاغة للزمخشري ٢/ ٤٧٤ .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٨٥ عن ابن عباس ، وهو معنى قول الطبري ١٨/ ٤٤ ، ورواه عن ابن جريج باختصار .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (لجَّ) ١٠/ ٤٩٢ نقلًا عن الليث .

(٧) لم أجده .

(٨) قول الفرَّاء في تهذيب اللغة للأزهري (لجَّ) ١٠/ ٤٩٣ ، وليس في كتابه معاني القرآن . وفي التهذيب . (لَجِجْتُ ولَجَجْت) .

٧٦. قوله : ﴿ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ .قال ابن عباس : «يريد بالأمراض والحاجة»[١] .

وقال مقاتل : «يعني الجوع»[٢] .

قال أبو إسحاق : «والذي أُخذوا به الجوع»[٣] .

﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ ؛ أي ما تواضعوا . يقال : أكانه يكينه إكانة إذا أخضعه[٤] حتى استكان وأدخل عليه من الذل ما أكانه[٥] .

وقال ابن عباس : «يريد ما رجعوا عن معاصي الله» .

وقال الكلبي : «لم يذلوا ولم تذل قلوبهم» .

---

(١) ذكر القرطبي ١٢/ ١٤٣ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد . وقد روى النسائي في تفسيره ٢/ ٩٨ ، ٩٩ ، وابن حبان في صحيحه الإحسان ٢/ ٢٥٢ ، والطبراني في الكبير ١١/ ٣٧٠ ، كلهم من طريق علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال يا محمد : أنشدك الله والرحم ، فقد أكلنا العِلْهِز يعني الوبر والدم فأنزل الله ـعز وجلـ (ولقد أخذناهم بالعذاب . . . .) الآية» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٣ : «وفيه علي بن الحسين بن واقد وثَّقه النسائي وغيره وضعَّفه أبو حاتم» . اهـ .
لكن رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٣٩٤ من طريق علي بن الحسين بن شقيق ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، به . وعلي هذا ثقة حافظ روى عن الحسين بن واقد وغيره ، وروى عنه البخاري وغيره ، قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/ ٢٩٨ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٤ . فهذه الطريق تقوِّي الأولى . وقد رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث ٢/ ٧٢٧ من طريق آخر عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، لكن ليس فيه ذكر لآية .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢أ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٩ .

(٤) في (ظ) : (خضعه) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٣٧٤ ، كان منسوباً إلى أبي سعيد البغدادي الضرير .

وقال مقاتل : «يقول : فما استسلموا ، يعني الخضوع[١] ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ يقول : وما يرغبون إلى الله في الدعاء»[٢] .

٧٧. قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي : «ذاك يوم بدر»[٣] .

وهو قول مجاهد[٤] ، واختيار الزَّجَّاج[٥] .

وقال في رواية عطاء : «يريد الموت»[٦] .

وقال مقاتل وغيره : «يعني الجوع»[٧] .

وقال السدِّي : «هو فتح مكة»[٨] . ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ . قال : أُبلسوا يومئذ تغيرت ألوانهم حين نظروا إلى أصنامهم تُنكَّس على وجوهها .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ أ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٣٥٧ ، والطبري ١٨/ ٤٥ من رواية الوالبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٤ ، ونسبه أيضاً إلى ابن مردويه .

(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٢٥ . وقد روى عنه الطبري ١٨/ ٤٦ أنه الجوع ، وذكر عنه الثعلبي ٣/ ٦٣ ب أنه القحط .

(٥) انظر : معاني القرآن ٤/ ١٩ ، وقد صدَّره بقوله : (قيل) ، ثم قال : (السيف والقتل) . قال ابن عطية ١٠/ ٣٨٨ : «وهذا القول يردُّه بأن الجدب الذي أصابهم كان بعد وقعة بدر» .

(٦) ذكر البغوي ٥/ ٤٢٥ هذا القول ، وصدَّره بقول : (قيل) .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ أ ، وهو اختيار الطبري ١٨/ ٤٦ ، واستشهد على ذلك بخبر ابن عباس في المجاعة التي أصابت قريشاً ، واستظهره أبو حيان ٦/ ٤١٥ .
وقيل : هو يوم القيامة . والمعنى : حتى إذا عذَّبوا بنار جهنم أبلسوا ، كقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم :١٢] ، وقوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف :٧٤ ، ٧٥] . ذكر هذا القول أبو حيان ٦/ ٤١٦ـ٤١٧ .
وقيل : هو توعُّد بعذاب غير معين ، وصوَّب هذا القول ابن عطية ١٠/ ٣٨٩ .

(٨) ذكر القرطبي ١٢/ ١٤٣ هذا القول عن عكرمة .

ومعنى ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون من كل خير . وتقدَّم [الكلام في][1] معنى المبلس في سورة الأنعام[2] .

٧٨. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾ خلق ﴿ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ ﴾ الذي تسمعون به ﴿ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ الذي تبصرون بها ﴿ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ القلوب التي بها يعقلون .

﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ . قال مقاتل : «يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه»[3] . وذكرنا الكلام في مثل هذا عند قوله : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة :٨٨] .

٨٠. قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ قال ابن عباس : «يولد المولود حياً ثم يمته ثم يبعثه» .

﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ قال الفرَّاء : «هو الذي جعلهما مختلفين ، كما تقول في الكلام : لك الأجر والصلة ، أي أنك تصل وتؤجر»[4] .

وفسَّرنا اختلاف الليل والنهار في سورة البقرة[5] .

قوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . [قال ابن عباس : «حيث تجعلون لي شريكاً من خلقي» .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام ٤٤] .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ ب .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٠ .

(٥) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة :١٦٤] .

وقال مقاتل : «﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١] توحيد ربكم في ما ترون من صنعه فتعتبرون»[٢] .

ثم عَيَّرهم بقولهم وأخبر عنهم أنهم قالوا مثل من كان قبلهم ، فقال :

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ . قال الكلبي : «بل كذبت قريش حين[٣] أخبرتهم[٤] بالبعث مثل ما كذب الأولون رسلهم» .

٨٤. ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ ﴾ . قال الكلبي : «لما كذبوه أتاه جبريل فقال : يا محمد قل لأهل مكة : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ ﴾ من خلق[٥] ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ مَن خالقها ومالكها ؟»[٦] .

٨٥. ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[٧] . قال ابن عباس : «يريد إقرارهم له بالربوبية» ، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال : «يريد : أفلا تتعظون حيث تجعلون لإله السماء والأرض شريكاً» .

المعنى : إنكم لو تذكرتم وتفكرتم لعلمتم أن من قدر على خلق ذلك ابتداءً فهو قادرٌ على إحيائهم بعد موتهم[٨] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ع) .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ ب .

(٣) في (أ) : (حى) .

(٤) في (ع) : (أخبرهم) .

(٥) ذكره الماوردي ٤/ ٦٢ عن الكلبي في قوله : ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ قال : «ما بينهم من خلق» .

(٦) ذكر البغوي ٥/ ٤٢٦ هذا المعنى من قوله : (يا محمد . . . .) إلى هنا ، ولم ينسبه لأحد .

(٧) في (ط) : (الله) ، وهو خطأ .

(٨) انظر هذا المعنى : عند الطبري ١٨/ ٤٧ ، والثعلبي ٣/ ٦٣ ب .

٨٦. قولــه تعــالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ : قُرِئ (الله)[١] ، وكذلك ما بعده .

فمن قرأ (الله) فهو على ما يقتضيه اللفظ من جواب السؤال لأنك إذا قلت : من رب السموات ؟ فالجواب : الله . ومن قرأ (لله) فعلى المعنى[٢] ، وذلك أنه إذا قال : من مالك هذه الدار ؟ فقال في جوابه : لزيد . إجابة على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ ؛ لأن معنى من صاحب هذه الدار ؟ : لمن هذه الدار . والذي[٣] يقتضيه اللفظ أن يقال في جوابه : زيد ونحوه ، وإنما استقام أن يقال في الجواب : لزيد ؛ لأن معنى من مالك هذه الدار ؟ ولمن[٤] هذه الدار ؟ واحد ، فلذلك حملت تارة على اللفظ ، وتارة على المعنى .

وهذا الذي ذكرنا هو معنى كلام الفرَّاء[٥] والزَّجَّاج[٦] وأبي علي[٧] .

وأنشد الفرَّاء فقال :

وَأَعْلَمُ أَنَّني سَأكُونُ رَمْساً إذا سَارَ النَّواجِعُ لا يَسِيرُ
فَقالَ السَّائِلونَ لِمَنْ حَفَرْتُمْ فَقالَ الْمُخْبِرونَ لَهُمْ : وَزيرُ[٨]

---

(١) قرأ أبو عمرو وحده : (سيقولون الله) بالألف في هذه الآية والتي بعدها ، وقرأ الباقون : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ وكذلك ما بعده . انظر : السبعة ٤٤٧ ، والتبصرة ٢٧٠ ، والتيسير ١٦٠ .

(٢) في (أ) : (الوجهين) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) : (الذي) .

(٤) في (ظ) : (لمن) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٠ .

(٦) (والزَّجَّاج) ساقطة من (أ) ، وانظر قوله في : معاني القرآن له ٤/ ٢٠ .

(٧) انظر كلام أبي علي في : الحجة ٥/ ٣٠١ ، وانظر في توجيه القراءتين أيضاً في : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٩٣ ، ٩٤ ، والحجة لابن زنجلة ٤٩٠ ، ٤٩١ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣٠ .

(٨) البيتان أنشدهما الفرَّاء عن بعض بني عامر في كتابه معاني القرآن ٢/ ٢٤٠ ، ونسبهما الجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ١٨٤ للوزيريّ ، وروايتهما عنده : =

فأجاب المخفوض[١] بمرفوع[٢] ؛ لأن معنى الكلام : فقال السائلون : من الميت ؟ فقال المخبرون : الميت وزير[٣] .

قال أبو علي : «والجواب على اللفظ هو الوجه»[٤] .

قوله : ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ . قال ابن عباس : «أفلا تخافون حيث جعلتم لي ما تكرهون لأنفسكم ، زعمتم أن الملائكة بناتي وكرهتم لأنفسكم البنات»[٥] .

وقال الكلبي : «أفلا تتقون عبادة غير الله»[٦] .

= وأعلمُ أنَّني سأصيرُ ميتاً إذا سارَ النَّواجعُ لا أسيرُ
وقالَ السائلونَ : منِ المُسَجَّى فقالَ المخبرونَ لهمْ : وزيرُ
وهما في الطبري ١٨/ ٤٨ بمثل رواية الفرَّاء . وذكر البيتين أيضاً ابن خالويه في كتابه إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٩٣ ، وصدَّرهما بقوله : «أنشدني ابن مجاهد» ، وذكرهما الأزهري في علل القراءات ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠ من أنشاد الفرَّاء عن بعض العامريين ، ثم قال : «وكان وجه الكلام أن يقول : فقال المخبرون لهم : لوزير . فرفعه وأراد : الميت وزيرٌ .
النواجع : الذين يخرجون إلى البادية من المرْتع» . انتهى كلامه رحمه الله .
الرَّمْسُ : تراب القبر ، والقبر نفسه . لسان العرب (رمس) ٦/ ١٠٢ .

(١) في (ظ) : (المحفوظ) ، وهو خطأ .
(٢) في (ظ) : (بالمرفوع) .
(٣) من قوله : (فأجاب . . . . إلى هنا ، هذا كلام الثعلبي ٣/ ٦٣ب بنصِّه ، وكذلك الطبري ٨/ ٤٨ .
(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٣٠١ .
(٥) ذكر القرطبي ١٢/ ١٤٥ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد .
(٦) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٨٧ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد .

٨٨. قوله : ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد السماوات وما فوقها وما بينها[١] والأرضين وما تحتها وما بينها وما لا يعلمه أحدٌ غيره»[٢] .

قال أهل اللغة : معنى الملكوت : عظم الملك . وفعلوت[٣] من صفة المبالغة نحو جبروت ورحموت ورهبوت[٤][٥] .

والذي ذكره [ابن عباس][٦] في تفسير الملكوت موافق لهذا المعنى لأنه أخبر عن عظيم[٧] ملكه .

وقال مجاهد : «﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ خزائن كل شيء»[٨] .

وهذا أيضاً راجع إلى المعنى الذي ذكرنا .

قوله : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقال أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته ، وأجرت عليه إذا حميت عنه من يَرُومه[٩] .

---

(١) في (أ) : (وما بينهما) .
(٢) ذكره هذا القول القرطبي ١٢/ ١٤٥ ، ولم ينسبه لأحد .
(٣) في (أ) : (وفعلون) .
(٤) في (ظ) و(ع) : (ورهبوت ورحموت) .
(٥) انظر : الصحاح (ملك) ٤/ ١٦٠ ، ولسان العرب ١٠/ ٤٩٢ ، والقاموس المحيط ٣/ ٣٢٠ .
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
(٧) في (ع) : (عظم) .
(٨) رواه الطبري ١٨/ ٤٨ ، ٤٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٣ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٩) انظر : تهذيب اللغة (جور) ١١/ ١٧٥ـ١٧٦ ، والمحكم لابن سيده ٧/ ٣٧٦ـ٣٧٧ ، ولسان العرب ٤/ ١٥٤ـ١٥٥ .

ومعنى الآية : إنه يمنع من السوء من يشاء ، ولا يمكن منع من أراده بسوء[١] منه[٢] . قال مقاتل : «يُؤَمِّن ولا يُؤَمَّن عليه أحد»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «يجير من عذابه ولا يجير[٤] عليه أحدٌ من عذابه»[٥] .

٨٩. قوله : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ . قال الفرَّاء[٦] والزَّجَّاج[٧] وابن قتيبة[٨] : «تصرفون عن الحق وتخدعون» .

والمعنى : كيف يخيل لكم الحق باطلاً ، والصحيح فاسداً[٩] .

٩٠. قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . قال الكلبي : «فقال لهم رسول الله ﷺ ذلك الذي أمره الله به في هذه الآية فكذبوه[١٠] ، وقالوا : بل الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه ، فنزل فيهم ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ يعني بالقرآن»[١١] .

وقال مقاتل : «بالتوحيد»[١٢] .

---

(١) في (أ) : (بشيء) .
(٢) انظر : الطبري ١٨/ ٤٩٠ .
(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ ب .
(٤) في (ع) : (ولا يجار) .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٠ .
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١ .
(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٠ .
(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٩ .
(٩) انظر : الطبري ١٨/ ٤٩ .
(١٠) في (أ) : (فكذبوا) .
(١١) لم أجد من ذكره عن الكلبي ، ولا يعتمد على الكلبي في ما يرويه ؛ فهو متهم بالكذب .
(١٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ ب .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في ما يضيفون إلى الله من الولد والشريك[١] .

ثم نفى الولد والشريك عن نفسه فقال :

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ . قال مقاتل : «يعني الملائكة»[٢] .

﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ قال ابن عباس : «ولا له شريك»[٣] .

﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ : هذا جواب لكلام مضمر[٤] ، التقدير : لو كانت معه آلهة إذن لذهب كل إله بما خلق ؛ أي لاعتزل وانفرد بخلقه[٥] ، فلا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ، ومنع[٦] الإله الآخر عن[٧] الاستيلاء على ما خلق[٨] .

قوله : ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ دليل آخر على[٩] نفي الشريك معطوف على الأول . قال الفرَّاء : «بغى بعضهم على بعض»[١٠] .

---

(١) انظر : الطبري ١٨/ ٤٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٢ ب .

(٣) ذكر البغوي ٥/ ٤٢٧ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد .

(٤) في (ظ) : (الكلام مضمراً) .

(٥) من قوله : (هذا جواب . . . .) إلى هنا ، هذا كلام الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ١٨/ ٤٩ ، مع اختلاف يسير جدًّا وتقديم وتأخير . وأصل الكلام للفراء ٢/ ٢٤١ .

(٦) في جميع النسخ : (ومنع) ، وفي المطبوع من البسيط ٣/ ٢٩٦ : (ولمنع) . وأشار المحقق في الحاشية إلى أنه في بعض النسخ جميعها : (منع) . وعند ابن الجوزي ٥/ ٤٨٨ : (ولمنع) . وعند البغوي ٥/ ٤٢٧ : (ومنع) .

(٧) في (ظ) : (من) ، وفي باقي النسخ والوسيط والبغوي وابن الجوزي : (عن) .

(٨) في (ع) : (في) .

(٩) من قوله : (فلا في . . . .) إلى هنا ، ذكره الطوسي في التبيان ٧/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ من غير نسبة لأحد .

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١ .

وقال الزَّجَّاج : «طلب بعضهم مغالبة بعض»[١] .

وهـذا معنى قول ابن عبـاس والمفسرين : «لقاتل بعضهـم بعضاً كما يفعل الملوك في الدنيا يقاتل هذا هذا»[٢] .

قال أهل العلـم في هذه الآية : ذكر الله تعـالى في أول الآية نفي الولد ونفي الشريك ، ثم ذكر الدليل على نفي الشريك واقتصر عليه ولم يذكر الدليل على نفي الولد ؛ لأن الدليل على نفي الشريـك يتضمن نفي الولد ، وذلك أن الولد ينازع الأب في الملـك منازعة الأجانب ، فلو كان لله ولـد لأظهر المنازعة كما يكون بين الإلهين[٣] ، والملكين[٤] .

ثم نزَّه عما وصفوه به فقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

٩٢. قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ : قُرِئ (عَالِمُ الْغَيْبِ)[٥] رفعاً وجراً[٦] .

قـال الأخفش : «الجر أجود ليكون الكلام من وجه واحد ، وأمَّا الرفع فعلى أن يكون خبر ابتداء محـذوف» ، قال : «ويقوِّي[٧] ذلـك[٨] أن الكلام الأول قد انقطع»[٩] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٠ .

(٢) ذكر البغوي ٥/ ٤٢٧ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٣) في (ظ) : (الأهلين) .

(٤) ذكر القرطبي ١٢/ ١٤٦ هذا المعنى باختصار ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) (الغيب) ليست في (ع) .

(٦) قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي : (عالمُ) رفعاً ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وابن عامر : (عالمِ) جراً . انظر : السبعة ٤٤٧ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٧) في (ظ) : (ويقول) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (ذاك) .

(٩) كلام الأخفش في الحجة للفارسي ٥/ ٣٠٢ بنصِّه ، ولم أجده في كتابه المعاني .

واختار الفرَّاء الرفع ، فقال : «وجه الكلام الرفع بالاستئناف ، الدليل[١] على ذلك دخول الفاء في قولـه : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ﴾ ، ولو خفضت لكان وجه الكلم أن يكون (وتعالى) بالواو لأنه إذا خفض أراد : سـبحان الله عالم الغيب والشـهادة وتعالى ، فدخول[٢] الفاء دليلٌ على أنه أراد : هو عالمُ الغيب والشهادة فتعالى ؛ ألا ترى أنك تقول : مررت بعبدالله المحسنِ وأحسنت إليه .

فلو رفعت (المحسنُ) لم يكن بالواو لأنك تريد : هو المحسنُ فأحسنت إليه» .

قـال : «وقد[٣] يكون الخفض في ﴿ عَـٰلِمِ ﴾ تتبعه ما قبله وإن كان بالفاء ؛ لأن العرب قد[٤] تستأنف بالفاء كما يستأنفون بالواو»[٥] .

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا ﴾ . قـال صاحب النظم : (مـا) قد تكون شرطاً كقوله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ [البقـرة :١٠٦] ، و(إمَّا) إنما هو [إنْ ما ، فـ][٦] (إنْ) شرط و(ما)[٧] أيضاً شرط ، فجمع بين الشرطين توكيداً ، فلمَّا وكَّد الشرط أدخل النون الثقيلة في الفعل توكيداً ؛ لأن النون الثقيلة تجيء[٨] توكيداً للأفعال[٩] .

وقوله : ﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «من النقمة فيهم» .

---

(١) في (ظ) : (والدليل) ، والمثبت من (أ) و(ع) ، وهو الموافق لما عند الفرَّاء .
(٢) في (ظ) : (ودخول) .
(٣) (وقد) ساقطة من (ع) .
(٤) (قد) ساقطة من (ظ) .
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١ ، وانظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٤٠ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣١ .
(٦) زيادة من القرطبي ١٢/ ١٤٧ بها يستقيم المعنى .
(٧) في (أ) : (وأما) ، وهو خطأ .
(٨) في (ع) : (تجيء في افعل) ، ويظهر أنه تكرار .
(٩) ذكر القرطبي ١٢/ ١٤٧ هذا المعنى باختصار إلى قوله : (بين الشرطين توكيداً) ، ولم ينسبه إلى أحد .

وقال مقاتل : «يعني القتل ببدر»[١] .

٩٤. ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي ﴾ . قال الفرَّاء : «هذه الفاء جواب لقوله : ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ اعترض النداء بينهما كما تقول : إن تأتني يا زيد فعجِّل[٢] ، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز أن تقول : يا زيد فقم ، ولا أن تقول : يا رب فاغفر لي ؛ لأن النداء مستأنف ، [وكذلك الأمر بعده مستأنف][٣] لا تدخله الفاء ولا الواو»[٤] .

قوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال الكلبي : «يعني مع[٥] الفئة الباغية»[٦] . قال أبو إسحاق : «أي إن أنزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجاً عنهم»[٧] .

قال مقاتل : «وذلك أنَّ النبي ﷺ أراد أن يدعو على كفار مكة»[٨] .

٩٥. فعلَّمه الله كيف يدعو ، وأخبر أنه قادر على إنزال العذاب بهم بقوله : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴾ .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .
(٢) في (أ)و (ظ) : (فجعل) .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١ .
(٥) في (ع) : (في) .
(٦) ذكر الرازي ٢٣/ ١١٨ نحو هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .
(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢١ .
(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .

ثم أمـــره بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ . قـــال المفسرون : يعني الإعراض والصفح . ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[١] : وهي أذى المشركين إيّاه[٢] .

والمعنى : ادفـــع بالخلَّة التي هي أحســـن -وهي الصـــبر والصفح- أذاهم وجفاهم[٣] .

وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم[٤] .

وقـــال أهل المعاني : «إذا ذكروا المنكر فاذكر الحجَّة في فســـاده والموعظة التي تصرف عنه إلى ضدِّه من الحق بتلطُّف في الدعاء إليه والحث عليه»[٥] .

وروي عن مجاهد وعطاء أنهما قالا في قوله : ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ : «الســـلام يسلم عليهم إذا لقيهم»[٦] .

---

(١) في (ظ) و(ع) : (والسيئة) .

(٢) الطبري ١٨/ ٥١ مع اختلاف يسير .

(٣) الثعلبي ٣/ ٦٤ أ .

(٤) ذكر هذا الطبري ١٨/ ٥١ ، والثعلبي ٣/ ٦٤ أ . وانظر : الناســـخ والمنســـوخ لهبة الله بن سلامة ٦٧ ، والناســـخ والمنسوخ لابن حزم ٤٦ ، وناسخ القرآن العزيز ومنســـوخه لابن البارزي ٤٢ . وهي على قول هؤلاء منســـوخة بآية الأمر بالقتال ، والصواب أنها محكمة غير منسوخة ، ولا تعارض بينها وبين آيات الأمر بالقتال ، ولذا نقل ابن الجوزي في ناســـخ القرآن ومنسوخه ٤٦٧ عن بعض المحققين من العلماء أنه قال : «لا حاجة بنا إلى القول بالنســـخ ، لأن المـــداراة محمودة ما لم تضر بالدين ، ولم تؤدِّ إلى إبطال حق وإثبات باطل» . اهـ . وقال ابن كثير ٣/ ٢٥٤ : «قال تعالى مرشـــداً له- يعني للنبي ﷺ- إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الإحســـان إلى من يُسيء إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقـــة وبغضه محبة . . . . وهذا كـــما قـــال : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت :٣٤]» . وانظر : البحر المحيط ٦/ ٤٢٢ ، وأضواء البيان ٥/ ٨١٨ .

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٦٦ هذا المعنى باختصار ، وقال : «حكاه ابن عيسى» .

(٦) رواه عن مجاهد عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٨ ، والطبري ١٨/ ٥١ ، وذكره عن عطاء السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ولا أدري هل كان يسلم على المشركين أم لا ؟ فإنه ﷺ نهانا أن نبدأهم بالسلام[١] .

قوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بما يقولون من الشرك»[٢] ، وقال مقاتل : «بما يقولون من الكذب»[٣] .

ومعنى ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ ﴾ إنَّا[٤] نجازيهم بما ، يستحقون[٥] من الجزاء في الوقت الذي يصلح للأخذ بالعقوبة .

أي[٦] : فليس يخفى علينا ما يقولون ، ولسنا نغفل عن مجازاتهم .

ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان ليسلم في دينه فقال :

---

(١) روى البخاري في كتاب :الاستئذان ، باب : التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ١١/ ٣٨ ، ومسلم في كتاب : الجهاد ، باب : في دعاء النبي ﷺ وصبره على المنافقين ٣/ ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، من حديث أسامة رضي الله عنه : «أن النبي ﷺ مر بمجلس فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود . . . . فسلَّم عليهم النبي ﷺ» الحديث . وروى مسلم في كتاب : السلام ، باب في السلام على أهل الذمة ١٤/ ١١١ ، والترمذي في كتاب : السير ، باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب ٥/ ٢٢٧ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «لا تبدؤوا اليهود والنَّصَارى بالسلام» الحديث .

(٢) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٨٩ ، والقرطبي ١٢/ ١٤٧ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣أ .

(٤) في (ع) : (بما) ، والمثبت من باقي النسخ والوسيط .

(٥) في (ظ) و(ع) : (بما يستحقون به) .

(٦) (أي) ساقطة من (أ) .

٩٧. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾ ؛ أي اطلب الاعتصام بك ﴿ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ الهمزات جمع همزة كقوله : تمرات[١] وتمرة . ومعنى الهمز في اللغة : الدفع[٢] .

روى أبو عبيد عن الكسائي : «هَمَزْتُهُ ولمزته ولهزته[٣] ونهرته إذا دفعته»[٤] .

وكان رسول الله ﷺ يقول : «اللهمَّ إني أعوذ بك من هَمزْ الشيطان ونَفثه ونفخه» فقيل : يا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه ؟ قال : «أمَّا همزه فالموتة ، وأمَّا نفثه فالشِّعْرُ ، وأمَّا نفخه فالكبر»[٥] .

---

(١) في (أ) : (ثمرات وثمرة) ، ومهملة في (ظ) .

(٢) انظر : لسان العرب (همز) ٥/ ٤٢٦ ، والقاموس المحيط ٢/ ١٩٦ .

(٣) (ولهزته) ساقطة من (أ) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (همز) : ٦/ ١٦٤ من رواية أبي عبيد عن الكسائي .

(٥) ذكره بهذا اللفظ أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٧٧ ، ولم يذكر له إسناداً ، وكذا ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٦/ ١٦٥ . وقد رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٤٠٣ ، وابن ماجه في سننه في أبواب إقامة الصلاة ، باب الاستعاذة في الصلاة : ١/ ١٤٥ ، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٢٤٠ ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٩/ ٢٥٨ ، والحاكم في مستدركه :١/ ٢٠٧ من حديث عبدالله بن مسعود ، عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه ، قال : وهمزه : الموتة ، ونفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر .

وهذا الحديث ضعَّف إسناده البوصيري في مصباح الزَّجَّاجة ١/ ٢٨٥ ، وحسَّن إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٥/ ٣١٨ ، وله شاهدان مرسلان يتقوَّى بهما : أولهما : ما رواه أحمد في مسنده ٥/ ١٥٦ من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن قال : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه . قال : وكان رسول الله ﷺ يقول : تعوذوا من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، قالوا : يا رسول الله وما همزه . . . .» الحديث .

والثاني : ما رواه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٨٤ عن الحسن : «أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه ، فقالوا : ما أكثر ما تستعيذ من هذا ! لمن هذا ؟ قال : أمَّا همزه فهو الجنون ، وأمَّا نفخه فالكبر ، وأمَّا نفثه فالشعر» . وبمرسل أبي سلمة صحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ١٣٥ . انظر : إرواء الغليل للألباني ٢/ ٥٣-٥٧ . الموتة : بضم الميم وفتح التاء من دون همز .

قال أبو عبيد[١] : «والموتة الجنون» . وإنما سـمّاه همزاً ؛ لأنه جعله من النخس والغمز ، وكل شيء دفعته[٢] فقد همزته[٣] .

وعلى هذا معنى[٤] ﴿ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ دفعهم بالإغواء إلى المعاصي ، وهو معنى قول ابن عباس والحسن : «نزغات الشياطين ووساوسهم»[٥] .

وذلك أنه إنما يدفع الناس إلى[٦] المعاصي بما يوسوس إليهم من التسويل والتَّمنية[٧] .

وقد يكون الهمز في اللغة بمعنى : العيب[٨] ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة :١] ، وهو الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه[٩] ؛ أي[١٠] يغتابه ويعيبه[١١] .

---

(١) في النسخ جميعها : (أبو عبيدة) ، وهو خطأ ، والمثبت هو الصواب .

(٢) في (ظ) : (رفعته) ، وهو خطأ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (همز) ٦/ ١٦٥ نقلًا عن أبي عبيد . وكلام أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ٣/ ٧٨ .

(٤) (معنى) ساقطة من (ع) .

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٦٤ أ .

(٦) (إلى) ساقطة من (ظ) .

(٧) كما قال تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء ١٢٠] .

(٨) هذا قول ابن الأعرابي كما في تهذيب اللغة للأزهري (همز) ٦/ ١٦٤ . وانظر : الصحاح للجوهري (همز) ٣/ ٩٠٢ ، ولسان العرب (همز) ٥/ ٤٢٦ .

(٩) في (أ) : (خلف) ، وفي (ع) : (خلقه) .

(١٠) في (أ) : (إلى) .

(١١) قوله : (الذي يهمز . . . . خلفه) في تهذيب اللغة للأزهري (همز) ٦/ ١٦٤ ، ١٦٥ منسوباً إلى الليث .

قـال المبرِّد : «والهمز في كلام العرب إنما هو أن[١] يهمز الرجل بقول قبيح من حيث لا يسمع ، وسُمِّيت مكايدة[٢] الشـيطان همزاً ؛ لأن مكايدته خفيَّة بالنزغة والوسوسة»[٣] .

ومن هذا قول مجاهد في تفسير الهمزات : «نفخهم ونفثهم»[٤] .

وذلك أن الشـيطان ينفخ في الإنسـان عند الغضب وغيره ، وينفث فيه من حيث لا يشعر به .

وقد يكون الهمز في اللغة بمعنى العصر . يقال : همزت رأسه ، وهمزت الجوز بكفي ، ومنه :

وَمَنْ هَـمَـزْنا رَأْسَهُ تَـهَشَّما[٥]

وهذا معنى قول ابن زيد في هذه الآية ﴿ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ قال : «خنقهم الناس»[٦] .

---

(١) في (ع) : (لمن) .

(٢) في (ظ) : (مكايد) .

(٣) لم أجده .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٦٤ أ .
قال الإمام ابـن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ١٥٥ : «وظاهر الحديث يعني اسـتعاذة النبي ﷺ من همز الشـيطان ونفخه ونفثه أن الهمز نوع غير النفخ والنفث ، وقد يقال وهو الأظهر إن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميـع إصاباتهم لابن آدم وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً ، كنظائر ذلك» .

(٥) مـن قوله : (الهمز . . . .) إلى هنـا ، في تهذيب اللغة للأزهري (همز) ٦/ ١٦٤٥ منسـوباً إلى الليث ، وهو في العين (همز) ٤/ ١٧ ، وفيه : (الجوزة) ، وليس فيه الإنشـاد . وهذا الشطر من الرجز لم ينسبه الأزهري ، وهو لرؤبـة في ديوانه ١٨٤٣ ، والتنبيه والإيضاح لابن برِّي ٢/ ٢٥٣ ، واللسـان (همز) ٥/ ٤٢٥ ، وتاج العروس للزبيدي (همز) ١٥/ ٣٨٨ .

(٦) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٣ أ ، ورواه الطبري ١٨/ ٥١ .

ومعنى قول[١] أبي إسحاق في تفسير الهمزات أنها مس الشيطان[٢] .

وذكرنا معنى مسِّ الشيطان عند قوله : ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة :٢٧٥] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ قال ابن زيد : «يحضروني[٣] في أموري»[٤][٥] ، وقال الكلبي : «عند تلاوة القرآن»[٦] .

وقال عكرمة : «عند النزع والسياق»[٧] .

قال صاحب النظم : «هذا من باب الإيماء ؛ لأن معنى قوله : ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ إيماء إلى أن يصيبوني بسوء ، ومنه قولهم : حضر فلان ، إذا دنى موته . ويقال : اللبن[٨] محضور ومحتضر ؛ أي يصاب منه ، وكذا[٩] الحُشُوش والكُنُف[١٠] مُحْتَضَرة ؛ أي يصاب الناس[١١] فيها ، ومنه قوله عز وجل : ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر :٢٨] ؛ أي مصاب منه يصيب صاحبه» . هذا كلامه .

---

(١) في (ع) : (تفسير) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢١ .

(٣) (يحضروني) ساقطة من (أ) .

(٤) في (ع) : (أمري) .

(٥) رواه الطبري ١٨/ ٥١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٤ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) ذكره عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ١٥٥ . وذكر الزمخشري ٣/ ٤٢ هذا القول منسوباً إلى ابن عباس .

(٧) ذكره عنه الزمخشري ٣/ ٤٢ ، وابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ١٥٥ .

(٨) في (ظ) : (الناس) .

(٩) في (أ) : (وكذا) .

(١٠) الحُشُوش : جمع : حُش ـبضم الحاء وفتحهاـ وهو المخرج والمتوضأ . لسان العرب (حشش) ٩/ ٢٨٦ . الكنف : جمع كَنِيف وهو المرحاض . القاموس المحيط ٣/ ١٩٢ .

(١١) (الناس) : ساقطة من (ظ) . والعبارة في (ظ) : (أي يصاب منه أي يصاب فيها) .

والصحيح أن يقال : المعنى : وأعوذ بك ربِّ[١] أن يحضرون بسوء ، فحذف ذكر السوء اختصاراً على أنه مفهوم المعنى ، وكذلك قولهم اللبن محتضر[٢] فغطِّ إناك ، يعنون : تحتضره الدابة وغير ذلك من أهل الأرض[٣] ، والكُنُف تحتضره الشياطين والجن ، وقوله : ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ باحتضار صاحبه .

وهذا معنى ما ذكره صاحب النظم من قوله : «أن يصيبوني بسوء ؛ لأنهم إذا حضروه بسوء أصابوه به»[٤] ، وحذف ذكر السوء ؛ لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء[٥] ، فلذا[٦] أمر أن يتعوذ من أن يأتيه الشيطان أو يقربه .

٩٩. ثم أعلم -تعالى ذكره- أن هؤلاء الذين ذكروا قبل هذا الموضع ودفعوا البعث يسألون الرجع إلى الدنيا عند معاينة الموت ، فقال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ . قال مقاتل : «يعني[٧] الكفار»[٨] .

﴿ٱلْمَوْتُ﴾ . قال الكلبي ومقاتل[٩] : «يعني ملك الموت» .

وقال غيرهما : يعني[١٠] أسباب الموت ومقدماته كقوله : ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾[١١] [إبراهيم :١٧] ، وقد مرَّ .

---

(١) (ربِّ) ليست في (أ) .
(٢) (محتضر) ساقطة من (ع) .
(٣) قوله : (قولهم اللبن محتضر . . . .) إلى هنا ، هذا كلام الأصمعي كما في تهذيب اللغة للأزهري (حضر) ٤/ ٢٠١ .
(٤) (به) ساقطة من (أ) .
(٥) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٨٩ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .
(٦) في النسخ جميعها : (فإذا) ، وما أثبتناه هو الصواب .
(٧) (يعني) : ليست في (أ) .
(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .
(٩) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .
(١٠) (يعني) ساقطة من (أ) .
(١١) في (ظ) : (فيأتيه) .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يريد إلى الدنيا»[١] .

قال الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وجميع أصحاب العربية : قوله : ﴿ ٱرْجِعُونِ ﴾ وهو يريد الله -عز وجل- وحده[٢] ، فجاء الخطاب في المسألة على لفظ الإخبار ؛ لأن الله -عز وجل- قال : ﴿ نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ق : ٤٣] ، وهو وحده يحيي ، وهذا لفظ تعرفه العرب للجليل الشأن يخبر عن نفسه بما يخبر به[٣] الجماعة ، فكذلك جاء الخطاب في ﴿ ٱرْجِعُونِ ﴾[٤] .

وروي عن ابن جريج أنه قال في هذه الآية : «إنهم استغاثوا[٥] بالله أولاً ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجع[٦] إلى الدنيا»[٧] .

---

(١) انظر : الطبري ١٨/ ٥٢ .

(٢) في (أ) : (الله وحده عز وجل) .

(٣) في (ع) : (عن الجماعة) .

(٤) هذا كلام الزَّجَّاج بنصِّه في معاني القرآن ٤/ ٢١-٢٢ .انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١-٢٤٢ . وقد جَوَّد هذا الوجه السمين الحلبي ٨/ ٣٦٦ ، واستظهره الشنقيطي في تفسيره ٥/ ٨٢١ .

(٥) في (أ) : (استعانوا) ، ومهملة في (ظ) .

(٦) في (ظ) : (المرجع) .

(٧) ذكره القرطبي ١٢/ ١٤٩ ، وأبو حيان ٦/ ٤٢١ عن ابن جريج ، وذكر البغوي ٥/ ٤٢٨ هذا القول وصدَّره بـ (قيل) . وفي نسبة هذا القول إلى ابن جريج نظر ، والأظهر أن هذا قول الطبري ، وبيان ذلك أنَّ الطبري روى في تفسيره ١٨/ ٥٢ عن ابن جريج قال : «قال النبي ﷺ لعائشة : إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار الهموم والأحزان ! فيقول : بل قدِّماني إلى الله . وأمَّا الكافر فيقال : نرجعك ؟ فيقول : لعلِّي أعمل صالحاً في ما تركت . . . .» الآية . ثم قال الطبري بعد ذلك : «وقيل : (ربِّ ارجعون) فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ، ثم قيل (ارجعون) فصار إلى خطاب الجماعة ، والله تعالى ذكره واحد . وإنما فعل ذلك كذلك ؛ لأن مسألة القوم الردَّ إلى الدنيا إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبي ﷺ قاله . وإنما ابتدئ الكلام بخطاب الله -جل ثناؤه- لأنهم استغاثوا به ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا» . اهـ .
فظاهر العبارة أن قائل (وإنما ابتدئ . . . . الدنيا) هو الطبري والله أعلم .

واختار المبرِّد هذا الوجه فقال : «﴿ ٱرۡجِعُونِ ﴾ خطاب للملائكة بعد أن قال : رب ، مستغيثاً . ومثل هذا يكثر[١] في الكلام عن العرب أن يخاطبوا أحداً ثم يصرف المخاطبة إلى غيره ؛ لأن المعنى مشتمل على ذلك» ، وأنشد للأحوص[٢] :

يا دارُ غَيَّرَها الْبِلى تَغْيِيرا[٣] وَسَفَتْ[٤] عَلَيْها الرِّيحُ بَعْدَكِ مورا[٥]

«فدعا الدار ، ثم أخبر عنها ، ثم خاطب صاحبها»[٦] .

---

(١) في (ظ) : (كثر) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (للأخوص) .

(٣) في (ظ) : (تغيرًا) .

(٤) في (أ) : (وسقت) ، وفي (ظ) مهملة .

(٥) البيت في ديوان الأحْوص ١٣٠ ، والكتاب ٢/ ٢٠١ ، وتحصيل عين الذهب للشنتمري ١/ ٣١٢ وعندهم : (حسَّرها البلى تحسيراً) عوضاً من (غيرها البلى تغييراً) . ونسبه الأصفهاني في الأغاني ٣/ ٣٣٦ ، والسيرافي في شرح أبيات سيبويه ١/ ٥٢٣ إلى الحارث بن خالد المخزومي . وروايتهما مثل رواية الديوان إلا أنه وقع في الأغاني : (بوراً) عوضاً من (موراً) .
والبيت بمثل رواية الواحدي في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٦ من غير نسبة . قال الشنتمري ١/ ٣١٢ : «البلى : القدم» ، ومعنى سفت : طيرت . و والمور : ما تطيره الريح من التراب .

(٦) انظر : شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١/ ٥٢٣ .

قال : «وكذلك قول[١] النابغة[٢] :

يا دارَ مَيَّةَ بِالْعَلْياءِ فَـالسَّنَـدِ[٣] أَقْوَتْ[٤] وَطالَ عَلَيْها سالِفُ الْأَبَدِ

فدعا أولاً ثم حدث عنها» .

١٠٠ . قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أشهد أن لا إله إلا الله»[٥] ، وقال مقاتل : «يعني الإيمان»[٦] .

وقال قتادة : «أما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا عشـيرة ، ولكنَّه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها»[٧] .

قوله تعالى : ﴿ فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآ ﴾ . قال ابن عباس : «في ما مضى من عمري»[٨] .

---

(١) (قول) ساقطة من (أ) .

(٢) بيت النابغة هذا أول أبيات قصيدته المشـهورة التي يعتذر فيها للنعمان بن المنذر من وشاية بلغته عنه ، ويمدحه فيها . وهو في ديوانه ١٤ ، وشرح القصائد التسع للنَّحَّاس ٢/ ٧٣٣ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٥١٢ .
قـال أبو جعفر النحاس في شرحه ٢/ ٧٣٣ : «قوله : (يا دار ميَّة) دار مضاف ، و(ميَّة) معرفة ، فذلك لم يصرفها . قال الأصمعي : العلياء : مرتفع من الأرض . والسَّند : سند الوادي في الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسند فيه ، أي يُصعد .
وأقوت خلت من أهلها . . السالف : الماضي . . والأبد : الدَّهْر» . اهـ .

(٣) في (ظ) : (والسَّند) .

(٤) في (أ) و(ظ) : (أموت) .

(٥) رواه البيهقي في الأسـماء والصفات ١٠٨ ، وذكره السـيوطي في الدر المنثـور ٦/ ١١٥ ، وعزاه إلى البيهقي .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .

(٧) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٢٨ ، وابن كثير ٣/ ٢٥٥ .

(٨) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٩٠ .

وقال الكلبي : «في ما كذَّبت» ، وقال غيره : «في ما ضيَّعت»[١] .

قال الله تعالى : ﴿كَلَّآ﴾ . قال ابن عباس : «يقول لا ترجع إلى الدنيا ، ﴿إِنَّهَا﴾ إن مسألته الرجعة ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يريد لا بدَّ أن يقولها عند الموت حين[٢] يعاين عذاب الله»[٣] ، ونحو هذا ابن زيد[٤] .

وقال آخرون[٥] : ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعني أن سؤاله الرجعة كلام يقوله[٦] ولا فائدة له ؛ لأنه لا يجاب إلى ما يسأل ، فهو كلام يقوله ولا فائدة له ، كقوله : ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة :٣٠] ، [وقوله : ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الأحزاب :٤]][٧] .

وقوله : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ . قال أبو عبيدة : «ومن أمامهم»[٨] .

وهذا مما يجوز أن يكون المراد به : ومن بين أيديهم كما قال أبو عبيدة ، ويجوز أن يكون المراد به[٩] : ومن خلفهم كما ذكرنا في قوله : ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾[١٠] [إبراهيم :١٦] ، وقد مرَّ .

---

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ١٨/ ٥٢ ، والثعلبي ٣/ ٦٤ ب .

(٢) (حين) ساقطة من (ع) .

(٣) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٩٠ هذا القول إلى قوله : (الرجعة) ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٤) روى الطبري ١٨/ ٥٣ عنه قال : «لا بدَّ أن يقولها» .

(٥) ذكر الثعلبي ٣/ ٦٤ب نحو هذا المعنى مختصراً ، ولم ينسبه لأحد ، وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٩ مختصراً .

(٦) في (ع) : (هو يقوله) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٦٢ .

(٩) (به) ساقطة من (أ) .

(١٠) في (أ) و(ظ) : (ورائهم) ، وهو خطأ .

قوله تعالى : ﴿بَرْزَخٌ﴾ : معنى البرزخ في اللغة : الحاجز بين الشيئين كيفما[١] كان من عين أو معنى ، نحو المسافة والجدار والأيام والعداوة وغير ذلك[٢] .

وهذا معنى قول الفرَّاء ، قال : «البرزخ والحاجز والمهلة[٣] متقاربات في المعنى وذلك أنك تقول : بينهما حاجز أن يتزاورا ، فتنوي بالحاجز[٤] المسافة وتنوي الأمر المانع[٥] ، مثل اليمين والعداوة ، فصار المانع من المسافة كالمانع من الحوادث فوقع عليهما البرزخ»[٦] .

ومنه حديث علي –رضي الله عنه– أنه صلى بقوم فأسْوى[٧] برزخاً[٨] ؛ أي أسقط ، وأراد بالبرزخ ما بين الموضع الذي [أسقط منه إلى الموضع الذي][٩] انتهى إليه ، قاله أبو عبيد[١٠][١١] .

---

(١) في (ظ) : (كيف) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (برزخ) ٧/ ٦٧١ ، والصحاح ١/ ٤١٩ ، واللسان ٣/ ٨ .

(٣) في (ظ) : (وأنهله) .

(٤) في (ع) : (بالحاجة) ، وهو خطأ .

(٥) في (ع) : (المانع من المسافة) ، وهو انتقال نظر من الناسخ إلى ما بعده .

(٦) كلام الفرَّاء بنصِّه في تهذيب اللغة للأزهري (برزخ) ٧/ ٦٧١ ، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٢ مع اختلاف يسير .

(٧) في (أ) و(ع) : (بما سوى) ، وفي (ظ) : (فاستوى) .

(٨) ذكره بهذا اللفظ الأزهري في تهذيب اللغة ٧/ ٦٧١ ، وذكره أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٤٤٨ بهذا اللفظ ، ثم رواه من حديث أبي عبدالرحمن السلمي قال : «ما رأيت أحداً أقرأ من علي ، صلينا خلفه فقرأ برزخاً فأسقط حرفاً فرجع فقرأه ثم عاد إلى مكانه» .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(١٠) في النسخ جميعها : (أبو عبيدة) ، وهو خطأ .

(١١) كلام أبي عبيد في تهذيب اللغة للأزهري (برزخ) ٧/ ٦٧١ ، وهو في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٤٤٩ .

وبرازخ الإيمان ما بين اليقين والشك . والبرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : هو في البرزخ ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة[١] .

وقال أبو إسحاق : «البرزخ في اللغة : الحاجز ، وهو هاهنا ما بين موت الميت وبعثه»[٢] .

وهذا قول الضحاك وابن زيد : «ما بين الموت إلى البعث»[٣][٤] .

وروي عن ابن عباس : «[بَرْزَخٌ] : حجاب»[٥] .

وقال السـدِّي ومقاتل : «أجل»[٦] ، وقال مجاهد : «حجـاب بينهم وبين[٧] الرجوع إلى الدنيا وهم فيه إلى يوم يبعثون»[٨] .

وقال قتادة : «بقية الدنيا»[٩] .

يعني[١٠] أنهم يكونون في البرزخ إلى أنْ تفنى الدنيا فيبعثوا .

---

(١) من قوله : (وبرازخ . . . .) إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ٦٧١ منسـوباً إلى أبي عبيد ، وهو في غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٥٢ .

(٣) في (ظ) : (والبعث) .

(٤) ذكره عنهما بهذا اللفظ الثعلبي ٣/ ٦٤ب ، ورواه عنهما الطبري ١٨/ ٥٣ بنحوه .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٤ب .

(٦) ذكره الثعلبي ٣/ ٦٤ب عن السدِّي ، وهو في تفسير مقاتل ٢/ ٣٣أ .

(٧) في (أ) : (وعن) .

(٨) ذكـره عنه الثعلبي ٣/ ٦٤ب ، ورواه هنَّاد بن السري في الزهد ١/ ١٩٥ ، والطبري ١٨/ ٥٣ ، وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٥ ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي نعيم في الحلية .

(٩) ذكره الثعلبي ٣/ ٦٤ب ، ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٨ ، والطبري ١٨/ ٥٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٥ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد .

(١٠) (يعني) ساقطة من (ع) .

والكناية[١] في قولـــه : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ كالكناية في قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ . قال أبو إســحاق : «(يَوْمِ) مضاف إلى (يُبْعَثُونَ) لأن أسماء الزمان تضاف إلى الأفعال»[٢] .

١٠١ . ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ . قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبير : «هي النفخة الأولى ، نفخ[٣] في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله»[٤] .

قوله : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ؛ أي لا يتناســبون[٥] في ذلك الوقت ليعرف[٦] بعضهم بعضاً لاشــتغال كل أحد بنفســه عن غيره ، ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله أو لا يتعاطفون بالأنساب[٧] .

---

(١) في (ع) : (فالكناية) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٢ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وعند الثعلبي : (ونفخ) .

(٤) رواه الثعلبي ٣/ ٦٤ب بإســناده من طريق ســعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به ، إلا أن فيه (ونفخ) كالآية ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب : التفســير ، باب : سورة حم السجدة ٨/ ٥٥٥ ، ٥٥٦ «عن ســعيد قال : قال رجلٌ لابن عباس : إني أجد في القرآن أشــياء تختلف علي قال : (فلا أنســاب بينهم) . . . .» الحديث مطولاً ، وفيه قال ابن عباس : «في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور . . . .» ، ورواه الطبري ١٨/ ٥٤ عن سعيد عن ابن عباس بنحوه .

(٥) في (ظ) : (لا يتساءلون) .

(٦) في (أ) : (لنعرض) .

(٧) ذكــر الطوسي في التبيان ٧/ ٣٤٩ هذا المعنى ، وصدَّره بقوله : (وقيل) ، وذكر عن الحســن أنه قال : «معناه : لا أنساب بينهم يتعاطفون بها» .

وقال في رواية عطاء : «هي[١] النفخة الثانية ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ قال : يريد لا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ كما تسأل العرب في الدنيا من أي قبيلة أنت ؟»[٢] .

وهذا قول ابن مسعود ومقاتل أن المراد بقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ النفخة الثانية[٣] .

قال ابن مسعود : «الخلق يومئذ أشد تعلقاً بعضهم ببعض منهم في الدنيا ، الأب بابنه والابن بأبيه والأخ بأخته والأخت بأخيها والزوج بامرأته والمرأة بزوجها» ، وتلا هذه الآية[٤] .

---

(١) في (أ) : (في) .

(٢) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٢٩ من رواية عطاء ، وذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٩٠ عنه أوله من رواية عطاء ، وذكر الثعلبي ٣/ ٦٤ب عنه قوله : «يريد فلا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا» ، ولم يذكر من رواه عنه .

(٣) ذكره الثعلبي ٣/ ٦٤ب عن ابن مسعود ، وقول مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٣أ .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد رواه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٦٢- ٣٦٥ (شاكر) مطولًا ، ١٨/ ٥٤ مختصراً ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٧ ، والثعلبي في تفسيره ٣/ ٦٤ب ،٦٥أ ، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٠٢ ، كلهم من طريق زاذان عن ابن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : «فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو ابنها أو على أخيها أو على زوجها ، ثم قرأ ابن مسعود : (فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون)» . وقد صحَّح العلَّامة أحمد شاكر إسناد ابن أبي حاتم كما في تعليقه على الطبري ٨/ ٣٦٤ .

ولا بدَّ من تقدير محذوف في الآية على تأويل : فلا أنساب يومئذٍ يتفاخرون بها ويتعاطفون بها ؛ لأن الأنساب لا تنقطع يومئذٍ ، إنما يرتفع التواصل والتعاطف والتفاخر بها والتساؤل .

وهذه الآية لا تنافي قوله : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات :٢٧] ؛ لأن للقيامة أحوالاً ومواطن ، منها ما يشغلهم عظم الأمر الذي ورد عليهم عن المسألة ، ومنها حال يفيقون فيها فيتساءلون .

وهذا معنى قول ابن عباس -في رواية المنهال بن عمرو- لمَّا سُئل عن الآيتين فقال : «هذه تارات[١] يوم القيامة»[٢] .

وأجاب في رواية سعيد بن جبير بحمل آية التساؤل على أن ذلك في الجنة فقال : «إنهم لمَّا دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون»[٣] .

---

(١) تارات : جمع تارة ، وهي الحين والمرَّة . والمراد أحوال يوم القيامة مرَّة بعد مرَّة ، وحيناً بعد حين . انظر : القاموس المحيط ١/ ٣٨١ .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد روى البخاري في صحيحه في كتاب : التفسير ، باب : سورة حم السجدة ٨/ ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، والطبري في الكبير ١٠/ ٣٠١ ، ٣٠٢ من طريق المنهال بن عمرو «عن سعيد قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ ، قال : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ . . . . فقال ابن عباس : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون» . وروى سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٧أ من طريق أبي إسحاق الأشجعي عن ابن عباس أنه سُئل عن الآيتين فقال : «إنها مواقف ، فأمَّا الموقف الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا ، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون» ، ورواه الطبري ١٨/ ٥٤ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بمعناه .

(٣) رواه الطبري ١٨/ ٥٤ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٩٥ من رواية المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به .

قال أبو عـلي : «لا يجوز أن يكون (إذا) نصباً بـ(نُفخَ) ولا بقوله ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ ؛ لأن ما بعد (لا) لا يعمل في ما قبلها ، فإذا لم يجز نصبه على هذين انتصب بفعل مضمر يُفسِّره ويدل عليه قوله : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ ، على تقدير : تنقطع الأنسـاب إذا نفخ في الصور ، أو لا تنفع الأنساب وما أشبه ذلك» . وشرح هذه المسألة أن يذكر عند قوله : ﴿ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ :٧] الآية .

١٠٢ . قوله : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ : هذه والآية[١] التي بعدها ذكرنا تفسيرهما في أوائل سورة الأعراف[٢] .

١٠٤ . قولـه تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ معنى اللفـح : الإحراق . يقال : لفحته[٣] النار والسموم ، إذا أحرقته[٤] .

وقال الزَّجَّاج : «تلفح وتنفح بمعنى واحد ، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً[٥] من النفح»[٦] .

قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ : الكلوح : بدو الأسنان[٧] عند العبوس .

---

(١) في (ظ) و(ع) : (الآية) .
(٢) انظر : البسيط : [الأعراف :٨ ، ٩] .
(٣) في (أ) : (ألفمه) .
(٤) انظر : تهذيب اللغة (لفح) ٥/ ٧٣ ، والصحاح ١/ ٤٠١ ، ولسان العرب ٢/ ٥٧٨ .
(٥) في (أ) : (تأخيراً) ، وهو خطأ .
(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٣ ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ٧٣ .
(٧) في (أ) : (الإنسان) .

يقال : كلح كلوحاً ، وأكلحه[١] كذا[٢] ، ويقال : دَهْرٌ كالح وبردٌ كالح إذا كان شديداً[٣][٤] .

وقال الزَّجَّاج : «الكالح : الذي قد شمرت شفتاه عن أسنانه ، نحو ما ترى [من][٥] رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه»[٦] .

قال ابن مسعود في هذه الآية : «ألم ترَ إلى الرأس المشيَّط[٧] بالنار ، وقد[٨] بدت أسنانه وقلصت[٩] شفتاه»[١٠] .

---

(١) في (أ) و(ع) : (وكلمه) ، وفي (ظ) : (إذا كلمه) . والتصويب من تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ١٠٢ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (كلح) ٤/ ١٠٢ منسوباً إلى الليث .

(٣) في (ظ) و(ع) : (شديد) ، وهو خطأ .

(٤) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة (كلح) ٤/ ١٠٢ من دون قول : (وبرد كالح) . انظر : الصحاح للجوهري (كلح) :١/ ٣٩٩ ، والمحكم لابن سيده (كلح) ٣/ ٣١ ، ولسان العرب (كلح) ٢/ ٥٧٤ .

(٥) زيادة من معاني الزَّجَّاج ٤/ ٢٣ ، وتهذيب الأزهري ٤/ ١٠٢ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٣ .

(٧) المشيط : يقال : شيطت رأس الغنم . . . . إذا أحرقت صوفه . الصحاح للجوهري (شيط) ٣/ ١١٣٩) .

(٨) في (ظ) : (قد) .

(٩) قلصت ؛ أي انزوت . لسان العرب (قلص) ٧/ ٧٩ .

(١٠) رواه سفيان في تفسيره ٢١٨ ، وابن المبارك في الزهد (زوائد الزهد لأبي نعيم ٨٤) ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٨ ، ٤٩ ، وهنَّاد في الزهد :١/ ١٩٠ ، والطبري ١٨/ ٥٩ من طريق أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبدالله بمثله ، ورواه من هذا الوجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ١٧٤ ، ١٧٥ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٩٥ ، والبيهقي في البعث والنشور ٢٧٦ بنحوه مختصراً . وفي إسناده عند هؤلاء أبو إسحاق السبيعي ، قال ابن حجر في التقريب ٢/ ٧٣ : «ثقة عابد ، من الثالثة ، اختلط بآخرة» . لكن الراوي عنه هو سفيان الثوري ، وهو من قدماء أصحابه الذين سمعوا منه قبل الاختلاط . انظر : هدى الساري لابن حجر ٤٣٠ . قال ابن الكيال في كتابه الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات ٣٥١ : «وقد أخرج الشيخان في الصحيحين لجماعة من روايتهم عن أبي إسحاق ، وهم . . . . وسفيان الثوري» . اهـ .

ولهذا قال الحاكم ٢/ ٣٩٥ :«هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، ووافقه على ذلك الذهبي ؛ =

وروى الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قال : «تشويه النار فتقلص[١] شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»[٢] .

ويقال له : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِى ﴾ . قال مقاتل والكلبي : «يعني القرآن»[٣] .

= فإسناد هذا الأثر صحيح . وقد رواه الطبراني في المعجم ٩/ ٢٦١ من طريق شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبدالله بنحوه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٣ : «ورجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه» اهـ . لكن يعضده ما تقدَّم . والله أعلم .

(١) في (أ) : (فتلصق) .

(٢) رواه ابن المبارك في مسنده ٧٦ ، وزوائد الزهد لأبي نعيم ٨٤ ، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ٨٨ ، والترمذي في جامعه في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة المؤمنين ٩/ ٢٠ ، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٥١٦ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٢٤٦-٣٩٥ ، والبيهقي في البعث والنشور ٢٧٥ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٦٥ أ ، والواحدي في الوسيط ٣/ ٢٩٨ ، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٨٢ ، كلهم من طريق أبي السمح درَّاج بن سمعان عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، به .
وقد اختلف العلماء في هذا الطريق ؛ فقال الإمام أحمد : «أحاديث درَّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف» ، وقال أبو داود عن درَّاج : «أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد» ، وقال أبو حاتم : «في حديثه ضعف» ، وضعَّفه النسائي والدارقطني وغيرهما ، ووثَّقه ابن معين ، وقال لمَّا سُئل عن أحاديث درَّاج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد : هذا إسناد صحيح ، ووثقه ابن حبان وابن شاهين .
واختار ابن حجر قول أبي داود فقال في التقريب ١/ ٢٣٥ : «صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف» . انظر : الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٣/ ٩٧٩ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ومستدرك الحاكم ٢/ ٢٤٦ . وعلى هذا فإسناد هذا الحديث ضعيف ، وقد ضعَّف إسناده الألباني في تخريج أحاديث المشكاة ٣/ ١٥٨٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب ، وقد ذكره البغوي ٥/ ٤٣٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٩٢ ، ولم ينسباه إلى أحد .

﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ألم تخوفوا بها»[١] .

﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ : فكنتم في الدنيا تكذبون القرآن ومحمداً -عليه السلام- بالنار وعذابها .

١٠٦ . ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ : وتقرأ (شقاوتنا)[٢] ومعناها واحد ، وهما مصدران . فالشقاوة[٣] كالسعادة ، والشقوة كالردة والفطنة[٤] .

قال الكلبي : «غلبت علينا شقاوتنا في الدنيا فلم نهتدِ»[٥] .

وقال القرظي[٦] ، ومجاهد[٧] ، ومقاتل[٨] : «غلبت علينا شقاوتنا التي كتبت علينا» .

١٠٧ . ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ . قال الكلبي : «من النار»[٩] .

قال ابن عباس : «سألوا الرجعة إلى الدنيا»[١٠] .

---

(١) ذكر البغوي ٥/ ٤٣٠ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٢) قرأ حمزة والكسائي : (شقاوتنا) بالألف مع فتح الشين والقاف ، وقرأ الباقون : (شقوتنا) بكسر الشين مع إسكان القاف . انظر : السبعة ٤٤٨ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٣) في (ظ) : (والشقاوة) .

(٤) من قوله : (فالشقاوة . . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٣٠٢ ، وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٩١ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣١ .

(٥) ذكر البغوي ٥/ ٤٣٠ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٦) رواه الطبري ١٨/ ٥٧ ، ٥٨ .

(٧) رواه الطبري ١٨/ ٥٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ١أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٨ ، وعزاه أيضاً إلى عبد بن حميد .

(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٩) ذكره البغوي ٥/ ٤٣٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٩٢ ، ولم ينسباه إلى أحد .

(١٠) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٩٢ .

﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ إلى الكفر والتكذيب والمعاصي ﴿ فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ .

١٠٨. قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

قال عبدالله بن عمرو[١] : «إنهم لا يجابون إلا بعد مُضي مثل عُمر الدنيا ثم يجابون بقوله : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾»[٢] .

وقال مقاتل : «يرد عليهم بعد مقدار الدنيا منذ يوم[٣] خلقت إلى أن تفنى سبع مرات»[٤] .

﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «اصغوا في النار»[٥][٦] .

قال المبرِّد : «الخسأ : إبعاد بمكروه»[٧] .

وقال الزَّجَّاج : «تباعدوا تباعد سخط» ، وقال : «ابعدوا بعد الكلب»[٨] .

---

(١) في (ع) : (عمر) ، وهو خطأ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ١٥٢ ، ١٥٣ ، وهنَّاد في الزهد :١/ ١٥٨ ، والطبري في تفسيره ٢٥/ ٩٩ عند قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ ﴾ [الزخرف :٧٧] ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ١ أ ب ، والبيهقي في البعث والنشور ٣١٢ ، والبغوي في شرح السُّنة ١٥/ ١٥٤ ، كلهم من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبدالله بن عمرو . وفي سنده قتادة وهو ثقة لكنه مدلس ، وقد عنعنه .

(٣) (يوم) ساقطة من (ع) .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب . وقوله يحتاج إلى دليل ، والله أعلم .

(٥) في (ع) : (الدنيا) ، وهو خطأ .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٧) في (أ) : (الخساو) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٤ وليس في المطبوع قوله : (ابعدوا بعد الكلب) . وقوله : (ابعدوا . . . .) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٦٨ بنصِّه ، ونسبه إلى ابن عيسى ؛ فلعلَّه سقط من النسخ بعد قوله ، وقال : بعض أهل المعاني أو نحوها .

وذكرنا الكلام في الخسأ عند قوله : ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة :٦٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ . قال الكلبي : «لا تسألون[١] الخروج منها» .

وقيل : «لا تكلمون في رفع العذاب عنكم»[٢] .

والمفسرون على أن هذا نهيٌ لهم عن جميع أجناس الكلام[٣] .

قال عبدالله بن عمرو : «فلم ينبس[٤] القوم بعد ذلك بكلمة ، إنْ كان إلا الزَّفير والشهيق»[٥] .

وقال مقاتل : «فلا يتكلم أهل النار بعد هذا غير أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً»[٦] ، وقال قتادة : «صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار ، أوله زفير وآخره شهيق»[٧][٨] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يصير لهم همهمة كنباح الكلاب»[٩] .

---

(١) في (ظ) : (تسألوني) .
(٢) ذكره الثعلبي ٣/ ٦٥أ ، لم ينسبه إلى أحد .
(٣) انظر :الطبري ١٨/ ٥٩ ، والثعلبي ٣/ ٦٥ أ ، والدر المنثور ٦/ ١٢٠ .
(٤) في (أ) : (ييس) ، وفي (ظ) و(ع) : (يبس) مهملة . والتصويب من سائر الروايات . ومعنى ينبس : ينطق . انظر :الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٤٠٣ .
(٥) هذا بقية الأثر السابق ، فانظر تخريجه في ما تقدَّم .
(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .
(٧) في (أ) : (نهيق) ، والمثبت من باقي النسخ وتفسير عبدالرزاق والطبري .
(٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٩ ، والطبري ١٨/ ٦٠ .
(٩) ذكره عنه القرطبي ١٢/ ١٥٤ .

وقال القرظـي : «إذا[(١)] قيـل لهـم : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ انقطع عند ذلك رجاؤهـم ودعاؤهم ، وأقبل بعضهم ينبـح في وجه بعض ، وأطبقت عليهم»[(٢)] .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾ الآية . يعني المؤمنين .

وقال ابن عباس : «يريد المهاجرين»[(٣)] .

١١٠ . ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ : وقُرِئ بكسر السـين هاهنا وفي سـورة ص ، وأجمعوا على الضم في سورة الزخرف[(٤)] .

قال الليث : «السُّخْرِيُّ والسُّـخْرِيَّة مصدران . يقال : سخر منه وبه سُخْرِيَّة وسُخْرِيّاً»[(٥)] ، وزاد أبو زيد : سَخَراً[(٦)] ، ومنه قوله :

لا عَجَبٌ مِنْها وَلا سَخَرُ[(٧)]

---

(١) (إذا) ساقطة من (أ) .

(٢) رواه الطبري ١٨/ ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٩٢ .

(٤) قرأ نافع وحمزة والكسـائي : (سُخرياً) بضم السـين هنا ، وفي قوله : ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [ص :٦٣] ، وقرأ الباقون : (سخريا) بكسر السين في السورتين .
وأجمعوا عـلى الضـم في قولـه : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف :٣٢] . انظر : السبعة ٤٤٨ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (سخر) ٧/ ١٦٧ ، وهو في العين (سخر) ٤/ ١٩٦ بنحوه .

(٦) انظر : الحجة ٥/ ٣٠٣ ، والنوادر ٢٨٨ .

(٧) هذا جزء من شطر بيت لأعشى باهلة عامر بن الحارث بن رباح الباهلي ، ذكره أبو زيد في النوادر ٢٨٨ فقال : «وقال أعشى باهلة :
إنـي أتـانـيَ شـيءٌ لا أُسَـرُّ بـهِ مـِن عـلُ لا عجبٌ فيه ولا سخرُ»
وهو من قصيدة رائية هي أشهر شعره ، يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب بن سلمة لمّا بلغه مقتله .
قال البغدادي في الخزانة ١/ ١٩١ ، ١٩٢ : «وقوله (لا عجب) أي لا أعجب منها وإن كانت مصيبة عظيمة ؛ لأن مصائب الدنيا كثيرة ، (ولا سخر) بالموت ، وقيل لا أقول ذلك سخرية ، وهو بفتحتين وضمتين» .

قال : «ويكون نعتاً كقولك : هم لك سخري وسخرية»[١] .

قال الفرَّاء : «الضم أجود»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «كلاهما جيد»[٣] .

وحكى الكسائي اللغتين جميعاً ، قال : «وسمعت العرب تقول : بَحْرٌ لُجّي ولجي ، ودري ودري ، وكرسي وكرسي»[٤] .

وذهب قوم إلى الفرق[٥] بينهما . قال يونس[٦] : «سُخرياً من السُّخْرة مضموم ، ومن الهُزء سخري»[٧] .

وقال أبو عبيدة : «سِخريّاً يسخرون منهم ، وسُخريّاً يسخرونهم»[٨] .

---

(١) انظر : الحجة ٥/ ٣٠٣ ، والنوادر ٢٨٨ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٣ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٤ .

(٤) ذكره عن الكسائي الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٤٣ ، والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٢٤ ، وذكره عنه أيضاً الأزهري في علل القراءات ٢/ ٤٤٢ .

(٥) في (أ) : (إلى أن الفرق) .

(٦) هو يونس بن حبيب .

(٧) قول يونس في الحجة للفارسي ٥/ ٣٠٣ ، وهو أيضاً في تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ١٦٨ .

(٨) قول أبي عبيدة في الحجة ٥/ ٣٠٣ ، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٦٢ مع اختلاف في العبارة .

وهذا قول الحسن وقتادة ، قالا : «ما كان من العُبُودة[١] فهو بالضم ، وما كان من الهزء فهو بالكسر»[٢] .

وذكر الزَّجَّاج أن الضم والكسر واحد في معنى الهزء[٣] . وقال من عند نفسه : «الكسر أحسن لاتباع الكسر»[٤] .

قال أبو علي : «القراءة بكسر السين أرجح من قراءة من ضَمَّ ؛ لأنه من الهزء ، والأكثر في الهُزء كسر السين في ما حكوه . ونرى[٥] أنه إنما كان أكثر لأن السَّخر مصدر سَخِرْتُ» ، حكاه أبو زيد[٦] .

وفَعَلٌ وفعلٌ يكونان بمعنى ، نحو : المثل والمثل والشَّبَه والشَّبْه ، فكذلك السَّخَر والسِّخْر ، إلا أن المكسورة أُلزمت ياء النسب دون المفتوحة كما اتفقوا في القسم على الفتح في : لعمر[٧] الله ، ولم يخرج مع إلحاق ياء النسب عن حكم المصدر ، يدلك على ذلك قوله : ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾[٨] فأفرد[٩] ، وقد جرى على الجمع كما تفرد المصادر ، فكأنَّ ياء النسب لم يقع بها[١٠] اعتداد في المعنى ، كما لم

---

(١) في (أ) : (المعبودة) ، وهو خطأ ، وفي الحجة : (العبودية) .
قال ابن منظور في لسان العرب (عبد) ٣/ ٢٧٠ : «يقال : فلان بين العُبودة والعبودية» .

(٢) قولهما في الحجة للفارسي ٥/ ٣٠٣ .
وذكره عنهما النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٩٣ .

(٣) قال الزَّجَّاج في معانيه ٤/ ٢٤ بعد حكايته قول بعض أهل اللغة أن ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر وما كان من جهة التسخير فهو بالضم : «وكلاهما عند سيبويه والخليل واحد» .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٤ .

(٥) في (أ) : (وقرئ) ، وفي الحجة : (وترى) .

(٦) لم أجده في النوادر لأبي زيد ، فلعل أبا علي نقله من كتاب آخر لأبي زيد .

(٧) في (أ) : (لعمرو) .

(٨) في النسخ جميعها : (اتخذتموهم) .

(٩) في (ع) : (فرد) .

(١٠) في (ع) : (بعدها) ، وفي الحجة : (به) .

يُعتدَّ بها[١] ولم يكن حكم للنسب في نحو : أحمر وأحْمري ودوَّاري[٢] ، فكانت ياء النسب في حكم الزيادة كـ(لا) في قوله : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد : ٢٠] .

وقال الأخفش : «سخري إذا أردت من سخرتُ به ففيه لغتان : الضم والكسر»[٣] . والتي يراد بها السُّخرة فالضم لا غير ، ومن ثمَّ اتفقوا على الضم في التي في الزخرف . وقولهم[٤] : اتخذت فلاناً سُخريّاً وسُخْرة السُّخري مصدر وسُخْرة[٥] ليست بمصدر في الهزء ، ولكنَّه كقولهم : ضُحْكَةٌ وهُزْأَةٌ إذا كان يُضْحك منه . وأمَّا وجه الضم إذا كان من الهزء فإن سَخراً فَعَل ، وفَعَل وفُعْل[٦] يتعاقبان على الكلمة كالحزن والحزن والبخل والبخل[٧] ، كما كان فَعَلٌ وفِعْلٌ كذلك ، إلا أن المضموم خُصَّ[٨] بالنسب كما خُصَّ المكسور به ، وبقي على حكم المصدر كما بقي عليه المكسور . وإذا ثبت هذا فقوله (سخرياً) في القراءتين جميعاً مصدر وصف به ، ولذلك أفْرد[٩] .

قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد يستهزئون بهم» .

---

(١) في الحجة : (به) .

(٢) في (ع) : (ودرار ودراري) .

(٣) كلام الأخفش ليس في معاني القرآن ، وإنما هو في الحجة لأبي علي ٥/ ٣٠٥ .

(٤) في الحجة : (فأمَّا ما حكاه أبو زيد من قوله . . . .) .

(٥) في (أ) : (سخر) .

(٦) (وفعل) الثانية ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٧) في (أ) و(ظ) : (الحِل والحل) مهملة .

(٨) في (أ) : (حض) .

(٩) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٣٠٣- ٣٠٥ ، مع تقديم وتأخير وتصرُّف .انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٤١-٤٤٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٩٥ ، وحجة القراءات ٤٩٢ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣١ .

وقال مقاتل : «إن رؤوس كفار قريش كانوا يستهزئون من بلال وعمار وخَبَّاب وصهيب وسالم وفقراء العرب ، ازْدَرَوْهُم»[١] .

قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي ﴾ : يريد تركتم موعظتي .

وقال مقاتل : «تركتكم الاستهزاء لا تؤمنون بالقرآن»[٢] .

قال أبو علي : «﴿ أَنسَوۡكُمۡ ﴾ يجوز[٣] أن يكون منقولاً من الذي بمعنى الترك ، ويمكن أن يكون (من)[٤] الذي هو خلاف الذكر ، واللفظ على أنهم فعلوا بكم النسيان ، والمعنى : إنكم أيُّها المتخذون عبادي سُخْرياً نسيتم ذكري باشتغالكم باتخاذكم إيّاهم سخرياً وبالضحك منهم ؛ أي تركتموه من أجل ذلك ، فنسب الإنساء إلى عبادِه المخلصين وإن لم يفعلوه لَمَّا كانوا كالسبب لإنسائهم ، وهذا كقوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ [إبراهيم :٣٦] ، فنسب الإضلال إلى الأصنام لَمَّا كانت سبباً في الإضلال»[٥] .

١١١. قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «بما صبروا على أذاكم واستهزائكم»[٦] .

﴿ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ : قُرِئ[٧] (إنَّهم) بالكسر[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٣) في (أ) : (ويجوز) .

(٤) زيادة من الحجة .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ١٩١ـ١٩٢ عند كلامه على قوله ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة :١٠٦] .

(٦) ذكره البغوي ٥/ ٤٣١ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٩٤ ، ولم ينسباه إلى أحد .انظر : الطبري ١٨/ ٦١ ، والثعلبي ٣/ ٦٥ب .

(٧) في (ظ) : (قرئ) .

(٨) قرأ حمزة والكسائي : (إنهَّم) بكسر الألف ، وقرأ الباقون بفتحها . انظر : السبعة ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

فمن فتح كان على معنى : جزيتهم لأنهم هم الفائزون . ويجوز أن يكون (أنَّهم)[١] في موضع المفعول الثاني لجزيت ؛ لأن جزيت يتعدَّى إلى مفعولين . قال الله تعالى : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان :١٢] ، والتقدير : جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز . ومن كسر استأنف وقطعه[٢] مما قبله ، والمعنى : إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، ثم أخبر فقال : ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ . ومثل هذا في الكسر والاستئناف والاتباع لما قبله : لبيك إن الحمد والنعمة لك وإن الحمد[٣] .

وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفرَّاء والزَّجَّاج[٤] .

ومعنى (الْفَائِزُونَ) الذين نالوا ما أرادوا ، والمفسرون يقولون : الناجون[٥] .

١١٢ . وقوله : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ : قال الله تعالى للكفار يوم البعث توبيخاً لهم على إنكار[٦] البعث : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني في القبور (عَدَدَ سِنِينَ) .

قال الزَّجَّاج : «(كم) في موضع نصب بقوله : (لبثتم) ، و(عَدَدَ سِنِينَ) منصوب بـ(كم)»[٧] .

---

(١) في (ظ) : (أنهَّم هم) .

(٢) في (ظ) : (فقطعه) .

(٣) من قوله : (فمن فتح . . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٣٠٦ عدا قوله : (والمعنى : إني جزيتهم . . . . الفائزون) ؛ فإنه كلام أبي إسحاق الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ٢٤ . انظر : علل القراءات للأزهري : ٢/ ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣١ ، ١٣٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٤ .

(٥) انظر : الطبري ١٨/ ٦٢ ، والثعلبي ٣/ ٦٥ب .

(٦) في (ظ) : (انكارهم) ، وفي (أ) : (الإنكار) .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٥ .وعلى هذا فـ(كم) ظرف زمان في محل نصب بـ(لبثتم) ، و(عدد سنين) بدل من (كم)وذهب أبو حيان : ٦/ ٤٢٤ إلى أن (عدد) تمييز لـ(كم) ، وصحَّح هذا الوجه السمين الحلبي ٨/ ٣٧٣ .انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٥ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٥٢ .

وقُرِئ : (قل كم لبثتم)[١] ، وهذا له معنيان :

أحدهما : قل أيها الكافر المسؤول عن قدر لبثه ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٢] .

والآخر : أن هذا أمرٌ[٣] لمن يسألهم بوم البعث[٤] عن قدر مكثهم . والمعنى : قل أيها السائل عن لبثهم[٥] .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ . قال ابن عباس : «وذلك أن الله أنساهم ما كانوا فيه من العذاب»[٦] .

وقال مقاتل : «استقلوا ذلك ، يرون أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا يوماً أو بعض يوم»[٧] .

قال المفسرون : «نسوا لعظم ما هم فيه من العذاب مدة مكثهم في الدنيا»[٨] .

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي : (قل كم لبثتم) بغير ألف على الأمر ، وقرأ الباقون : (قال) بألف على الخبر . انظر : السبعة ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٢) قال أبو زرعة بن زنجلة في حجة القراءات ٤٩٣ تتميمًا لهذا الوجه : «فإخراج الكلام على وجه الأمر به للواحد والمراد الجماعة ، إذ كان المعنى مفهوماً ، والعرب تخاطب الواحد ومرادهم خطاب جماعة إذا عرف المعنى» .

(٣) في (ظ) : (الأمر) .

(٤) في (ظ) : (يوم القيامة البعث) .

(٥) قوله : (والمعنى : قل أيها السائل عن لبثهم) ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٣٠٧ .

(٦) ذكره عنه الزمخشري ٣/ ٤٥ ، والرازي ٢٣/ ١٢٦ ، والقرطبي ١٢/ ١٥٥ ، وأبو حيان ٦/ ٤٢٤ .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٨) ذكره البغوي ٥/ ٤٣٢ ، والقرطبي ١٢/ ١٥٥ ، ولم ينسباه إلى أحد .

وقوله : ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد العارفين بالحساب»[١] .

وقال قتادة ومقاتل : «سل الحُسَّاب»[٢] .

قال مجاهد : «هم الملائكة»[٣] .

قال مقاتل : «يعني ملك الموت وأعوانه»[٤] .

وقال الكلبي : «فاسأل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا»[٥] .

قوله : (قال) ؛ أي قال الله تعالى ، أو قال الذي سألهم عن قدر لبثهم .

وقُـرِئ (قل)[٦] ، وهو أمرٌ للذي سـألهم عن قدر لبثهـم ، ولا يجوز[٧] أمراً للكافر كما قلنـا في قوله : ﴿ قَلَ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ ، ولهذا فصـل ابن كثير بينهما ، فقرأ الأولى (قل) على الأمر وهاهنا (قال)[٨] .

---

(١) لم أجده .

(٢) رواه عن قتادة عبدالرزاق ٢/ ٤٩ ، والطبري ١٨/ ٦٣ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢١ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وهو في تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ب .

(٣) رواه الطبري ١٨/ ٦٣ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٣أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٢ ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٥) لم أجده . قال الطبري ١٨/ ٦٣ بعد ذكره للأقوال : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه : (اسأل العادين) ، وهم الذين يعدُّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك ، وجائز أن يكونوا الملائكة ، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ، ولا حجَّة بأي ذلك من أيٍّ ثبتت صحتها ، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض» . وقال ابن عطية ١٠/ ٤١٠ : «وظاهر اللفظة أنَّهم أرادوا من يتَّصف بهذه الصِّفة ولم يعينوا ملائكة ولا غيرها» .

(٦) قرأ حمزة والكسائي : (قل إن لبثتم . . . .) الآية ، على الأمر ، وقرأ الباقون : (قال) على الخبر . انظر : السبعة ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٧) في (أ) : (يجوز) .

(٨) انظر : السبعة ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

١١٤. قوله: ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ أي ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً .

قال الكلبي : «لأن كل ما هو آتٍ قريب» .

يعني أن مكثهم في القبور وإن طال فإنه قليل لأنه متناهٍ ، ويجوز أن يكون قليلاً عند طول مكثهم في عذاب جهنم لأنه خلود لا يتناهى .

قوله عز وجل : ﴿ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ أي قدر لبثكم .

وقال مقاتل : «لو أنكم كنتم تعلمون إذن لعلمتم أنكم لم تلبثوا إلا قليلاً»[١] .

١١٥. قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ : العبث في اللغة : اللعب . يقال : عبث يعبث عبثاً فهو عابث لاعبٌ بما لا يعنيه وليس من باله[٢] .

واختلفوا في انتصابه ؛ فمذهب سيبويه وقطرب أنه في موضع الحال[٣] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ٣٣٢ بنصِّه ، وهو في العين ٢/ ١١١ مع اختلاف يسير جداً ، وانظر : الصحاح للجوهري (عبث) ١/ ٢٨٦ .

(٣) ذكره عنهما الثعلبي ٣/ ٦٥ب ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ٢١٠ أ ، والقرطبي ١٢/ ١٥٦ ، ولم أقف عليه في الكتاب .

أي عابثين . والمعنى : أفحسبتم أنما خلقناكم باطلاً لغير شيء ، وهذا استفهام يتضمن الإنكار ؛ أي ما خلقناكم عابثين بل خلقناكم لنثيب المحسن ونعاقب المسيء .

وقال أبو عبيدة : «هو نصبٌ على المصدر»[١] .

ويكون التقدير : عبثنا[٢] بخلقكم عبثاً ، ويكون المعنى كما ذكرنا في الحال .

وعلى هذا المعنى دل كلام مقاتل[٣] .

وقال آخرون : هو مفعولٌ له ؛ أي للعبث[٤] .

وهو اختيار الأزهري[٥] ، وعليه دلَّ كلام ابن عباس لأنه قال : «يريد كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عذاب عليها ، مثل قوله : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة :٣٦] ؛ أي يهمل كما تهمل البهائم»[٦] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٥ ب ، والقرطبي ١٢/ ١٥٦ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ٢١٠ أ ، وليس في مجاز القرآن .

(٢) في (أ) : (عبثاً) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب ، فيه : (لعباً وباطلًا لغير شيء) .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٦٥ب ، ونسبه إلى بعض نحاة البصرة ، وانظر : الكشاف ٣/ ٤٥ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٥٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٤٢٤ ، والدر المصون ٨/ ٣٧٤ .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (عبث) ٢/ ٣٣٢ .

(٦) ذكر هذا القول البغوي ٥/ ٤٣٢ ، والقرطبي ١٢/ ١٥٦ ، ولم ينسباه إلى أحد .

والمعنى على هذا القول : أفحسبتم أنكم خلقتم للعبث فتعبثوا ولا تعملوا بطاعة الله[١] . وهذا المعنى أراد علي -رضي الله عنه- في قوله : يا أيها الناس اتقوا الله[٢] ، فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ، ولا أهمل سدى فيلغو[٣] .

وهذا الوجه هو الاختيار لقوله : ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤] ؛ أي وحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء .

١١٦. قوله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ﴾ . قال مقاتل : «ارتفع أن يكون خلق[٥] شيئاً عبثاً ، ما خلق شيئاً إلا لشيء»[٦] .

وقال غيره : «تعالى عمَّا يصفه به الجهال من الشركاء واتخاذ الأولاد»[٧] .

قال أهل المعاني : تعالى الله بأن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته . ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ ؛ أي الذي يحق له الملك بأنه ملك غير مُمَلَّك ، وكل مُلْك غيره فملكه مستعار لأنه يملَّك[٨] ما ملَّكه الله[٩] .

ثم وحَّد نفسه فقال : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ . قال الكلبي : «هو السرير الحسن»[١٠] .

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (أ) .
(٢) في (ظ) : (ربّكم) .
(٣) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٥ب .
(٤) في (أ) : (أنّكم) .
(٥) (خلق) ساقط من (أ) .
(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ب ، ٣٤أ .
(٧) هذا قول الطبري ١٨/ ٦٤ ، والثعلبي ٣/ ٦٥ ب .
(٨) في (أ) : (مملك) .
(٩) ذكر الطوسي في التبيان ٧/ ٣٥٥ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .
(١٠) ذكر البغوي ٥/ ٤٣٣ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .
قال ابن كثير ٣/ ٢٥٩ : «ووصفه بأنه كريم أي حسن المنظر بهيُّ الشكل ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان : ١٠]» .

وذكرنا أن الكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن[١] .

وارتفع[٢] قوله : ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ﴾ لأنه صفة قوله : ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ .

١١٧ . ثم أوعد من أشرك به فقال : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ لا بيِّنة ولا حجة ولا شهادة له ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل[٣] .

وقوله : ﴿ لَا بُرْهَٰنَ ﴾ من صفة النكرة ؛ أي إلهاً لم ينزل بعبادته كتاب ، ولا بعث بها رسول ، وليس من جواب الشرط ، وجواب الشرط قوله : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾[٤] . وهذا وعيد ؛ أي إن حساب عمله عند ربه فهو يجازيه بما يستحقُّهُ كما قال : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية : ٢٥ـ٢٦] .

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «لا يسعد من كذب وجحد ما جئت به وكفر نعمتي»[٥] .

---

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤] .

(٢) في (أ) : (فارتفع) .

(٣) رواه عن مجاهد الطبري ١٨/ ٦٤ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٥أ . وقول مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٤أ .

(٤) قال الزمخشري ٣/ ٤٥ : «﴿ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ كقوله : ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] وهي صفة لازمة نحو قوله : ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام ٣٨] جيء بها للتوكد ، لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أنه يقوم عليه برهان ، ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء كقولك : من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه» . اهـ . وخرَّجه أبو حيان ٦/ ٤٢٥ على الصفة اللازمة أو على الإعتراض ، وقال : «وكلاهما تخريج صحيح» .انظر : الدر المصون ٨/ ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، وروح المعاني ١٨/ ٧١ ، ٧٢ .

(٥) ذكره البغوي ٥/ ٤٣٣ إلى قوله : (وجحد) . ولم ينسبه لأحد . وذكره القرطبي ١٢/ ١٥٧ من دون نسبة إلى أحد .

١١٨. ثم أمر رسوله[١] أن يستغفر للمؤمنين ويسأل لهم الرحمة ، فقال : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لمن صدقني» .

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ : يريد أفضل من رحم .

قال مقاتل : «أي هو أفضل رحمة من الذين يرحمون»[٢] .

* * *

(١) في (أ) : (رسول الله) .

(٢) في تفسير مقاتل ٢/ ٣٤ أ : «يعني أفضل رحمة من أولئك الذين لا يرحمون» .